المفردة القرآنية في قصة مراودة النسوة ليوسف عليه السلام

د. دخيل بن عبد الله الدخيل
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المفردة القرآنية في قصة مراودة النسوة ليوسف عليه السلام

د. دخيل بن عبد الله الدخيل
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٣/ ١/ ١٤٤١ هـ تاريخ قبول البحث: ٢/ ٦/ ١٤٤١ هـ

ملخص الدراسة:

ارتكز هذا البحث على المفردة القرآنية واختص بما جاء في قصة مراودة النسوة ليوسف عليه السلام، مبرزًا دلالات المفردة في القصة ودراستها وفق التركيب اللغوي والنظم القرآني، وقد سلطت الضوء على بعض المترادفات للمفردة، ثم تجلية آيثار المفردة القرآنية في قصة المراودة، مع ما تضمنه البحث من مقدمات وتعاريف كمدخل للبحث.

الكلمات المفتاحية: المفردة القرآنية ، قصة المراودة، يوسف عليه السلام.

The quranic vocabulary in the story of the womenms courtship of joseph, peace be upon him

Dr.Dakheel bin Abdullah AlDakheel

Department of Holy Quran and its Sciences - College of Fundamentals of Religion
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Abstract :

This research was based on the Qur'anic' Vocabulary, and it focuses on what was stated in the story of the attempt to seduce Prophet Yusuf (Joseph) by women Highlighting the Vocabulary meanings in the story and examine them according to the linguistic and Quranic context. I focused also on some synonyms for the Vocabulary and then revealed the reasons for choosing the Qur'anic Vocabulary in the story of the attempt to seduce. Besides, the research contents, including introduction and definitions.

key words: Quranic vocabulary, the story of seduction , Prophet Yusuf (Joseph).

المقدمة:

الحمد الله منزل الكتاب، أعجز به العباد، سالم من النقص والتحريف والتبديل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تكفل الله بحفظه، وتحدى الخلق أن يأتوا بمثله، ومن زمرتهم العرب الفصحاء، ومن بلغوا بالبيان علو المجد والشَّأو، إفرادًا وتركيبًا، فمفرداته سُبكت حُروفها، رقراقة المعنى، مناسبة المكان مستقرة في السياق، أحاطت مفرداته باللسان العربي فألقت زَبَدَه، واستأثرت بِزُبْده، تحار فيه الألباب، فهل من مُدَّكِر؟!.

إن من أعظم وجوه الإعجاز القرآني؛ الإعجاز البياني، الذي اتفق عليه العلماء تقديمًا؛ فتأملوه بين من يرى الإعجاز نظماً، ومن يراه إفرادًا وتركيبًا، فوجدت في نفسي أن أُسلِّط الضوء على المفردة القرآنية وفق وحدة سياقية، وهي قصة مراودة النسوة ليوسف عليه السلام، مبرزًا إيثار المفردة دون غيرها في السياق القرآني، ملتمسًا وجوه الإيثار، مما يعين في التفسير وتصوير الأحداث، ووسمته بـ (المفردة القرآنية في قصة مراودة النسوة ليوسف عليه السلام).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. تعلقه بكتاب الله عز وجل إذ شرفُ العلم بشرف المعلوم.

٢. مراعاة الوحدة السياقية الموضوعية في قصة المراودة، إذ هناك من اعتنى بالمفردة في القرآن ولم يُراعِ الوحدة السياقية الموضوعية.

٣. العمق التأملي لمثل هذا البحث مما يُنمّي الملكة التدبُّرية التفسيرية.

أهداف البحث:

١. دراسة المفردة القرآنية في قصة مراودة النسوة ليوسف عليه السلام.

٢. إبراز دلالات المفردة في القصة ودراستها وفق النظم القرآني.

٣. تسليط الضوء على بعض المترادفات للمفردة القرآنية، وبيان وجه عدم إيثارها.

حدود الدراسة:

تناولت الدراسة في هذا البحث إيثار المفردة القرآنية، في وحدة موضوع قصة مراودة النسوة ليوسف عليه السلام.

خطة البحث:

تضمنت خطة البحث: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: تتضمن: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، وخطة البحث، ومنهجه.

الخطة: تتكون من مبحثين.

المبحث الأول: بلاغة المفردة القرآنية وإيثارها، وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: البلاغة والفصاحة تعريفهما والفرق بينهما.

المطلب الثاني: علاقة البلاغة بالإعجاز القرآني.

المطلب الثالث: تعريف المفردة وخصوصيتها.

المطلب الرابع: مفردات القرآن بين البناء والمضمون.

المطلب الخامس: إيثار المفردة والاختيار تعريفهما والفرق بينهما.

المبحث الثاني: إيثار المفردة في قصة المراودة في سورة يوسف عليه السلام.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

المنهج الذي سرت عليه في البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، على النحو الآتي:

١. أذكر المفردة القرآنية في القصة مشيرًا إلى بعض مرادفاتها، مبينًا إيثار المفردة القرآنية دون غيرها، مع مراعاة السياق.

٢. أنقل أقوال المفسرين أو اللغويين وغيرهم الدال على إيثار المفردة القرآنية بما يفي بالمطلوب، دون التقصي خشية الإطالة لطبيعة هذه البحوث.

٣. تركت عرض الخلاف في الأقوال التفسيرية، لانصباب البحث على المفردة وإيثارها، وخشية الإطالة؛ إلا ما دعت الحاجة إليه.

٤. جاءت بعض المفردات في هذا البحث من باب إتمام الصورة وكمال السرد لإيضاح ما بعدها، وليس من باب الإيثار، وأصدرها بعبارة (الإتيان).

٥. عزو الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها مع ذكر رقم الآية.

٦. توثيق القراءات من مصادرها الأصلية.

٧. تخريج الأحاديث النبوية، والآثار المروية، فإن كان الحديث في الكتب الستة فأذكر المصدر والكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة، وإن كان في غيرها من كتب السنة فأكتفي بالجزء والصفحة، مع الحرص على ذكر حكم العلماء المحدثين على تلك الأحاديث إذا لم يكن في الصحيحين.

٨. لم أترجم للأعلام الذين ورد ذكرهم، واكتفيت بذكر سنة الوفاة في المتن بعد الاسم.

٩. توثيق النصوص من مصادرها الأصلية، مع الحرص على العزو إليها، ببيان الجزء والصفحة، وفي المعاجم اللغوية فالعزو للمادة اللغوية ثم الجزء والصفحة.

١٠. شرح غريب الألفاظ والمصطلحات.

١١. وضعت فهرسًا للمصادر والمراجع.

المطلب الأول: البلاغة والفصاحة تعريفهما والفرق بينهما:

– تعريف البلاغة:

– في اللّغة: أصل مادة (بلغ) هو الوصول للشيء والمشارفة عليه، يقال: بلغ المكان بلوغًا: وصل إليه، وكذلك قوله تعالى ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ البقرة: ٢٣٤، أي: قاربنه، والبلاغة: الفصاحة، وبَلُغَ الرجل، بالضم، أي: صار بليغًا، والبلاغات: كالوشايات. والبُلَغِينُ: الداهية. وبالغ فلان في أمري: إذا لم يقصِّر فيه. والبُلْغَةُ: ما يُتَبَلَّغُ به من العيش. وتَبَلَّغَ بكذا، أي: اكتفَى به(١).

وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قول بليغ. وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة وليس من أهلها وما هو ببليغ ولكن يتبالغ(٢).

والبلاغة: أن تظهر المعنى صحيحًا واللفظ فصيحًا(٣).

فالبلاغة في اللغة: هي الوصول للشيء والمشارفة عليه، وما يُتَبَلَّغُ به، وظهور المعنى صحيحًا واللفظ فصيحًا، والجوهري جعل البلاغة هي الفصاحة، وهذا من التوسع اللغوي، أو ممن لا يرى التفريق بينهما، وما سأبينه من التفريق بين الفصاحة والبلاغة هو المختار.

---

(١) ينظر: الصحاح في اللغة للجوهري: مادة (بلغ):١٠٧.

(٢) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري: مادة (بلغ):١/٥٨.

(٣) ينظر: الأمالي في لغة العرب للقالي:٢/١٦٧.

– **و في الاصطلاح**: هي مطابقة الكلام لمقتضى حَال من يُخَاطبُ به مع فصاحة مفرداته وجُمَله(١).

تعريف الفصاحة:

– **في اللغة:**

الفَصَاحَةُ: البيان. فَصُحَ فَصَاحَةً فهو فصيحٌ من قوم فُصَحاءَ وفِصَاحٍ وفُصُحٍ. وامرأة فَصيحةٌ من نسوة فِصَاحٍ وفَصائحَ.

وفَصُحَ الأعجم، تكلم بالعربية وفُهم عنه. وأفْصَحَ، تكلم بالفَصَاحةِ. وكذلك الصبي.

وفَصُحَ الرجل وتَفَصَّحَ: إذا كان عربيَّ اللسان فازداد فَصاحةً. والتَّفَصُّحُ: استعمال الفصاحةِ، وقيل: التشبه بالفُصَحاءِ، وقد أفْصَحَ الكلام وأفْصَحَ به. وأفْصَح عن الأمر. ويوم مُفْصِحٌ، لا غيم فيه ولا قُرَّ. وأفْصَحَ اللبن وفَصَّحَ: ذهبت رغوته وخلص. وذهب اللبأ عنه. وأفْصَحت الشاة والناقة، خلص لبنهما. والاسم الفَصِيحُ. وربما سُمِّي اللبنُ فِصْحًا وفَصيحًا.

وأفْصَحَ الصبح، بدا ضوؤه واستبان. وكل ما وضح فقد أفْصَحَ. وأفْصَحَ لك فلان، بيَّن ولم يُجْمْجِم(٢).

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني:١/٤١، وجواهر البلاغة للهاشمي:١/٣٤، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للميداني:١/١٠٤.

(٢) ينظر: الصحاح في اللغة للجوهري:مادة (فصح):٨١٣، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده مادة (ف ص ح):١/٤٦٨.

فالفصاحة في اللغة: البيان. فـ"الفاء والصاد والحاء أصل يدل على خلوصٍ في شيء ونقاءٍ من الشوائب"(١).

الفصاحة في الاصطلاح: فصاحة المفردة، هي: خلوصُها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس(٢).

الفرق بين الفصاحة والبلاغة:

اختلفت أقوال العلماء في بيان الفرق بينهما(٣): والذي استقر عليه كلام البلاغيين، أن كُلًّا منهما يقع صفة لمعنيين: أولهما الكلام، وثانيهما المتكلم. فتقول: شعر فصيح أو بليغ، وشاعر فصيح أو بليغ. وتختصُّ الفصاحة بكونها صفة للمفرد فيقال: لفظة فصيحة ولا يقال لفظة بليغة. قال ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ): "والفرق بين الفصاحة والبلاغة، أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفًا للألفاظ مع المعاني. لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضُل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها إنها فصيحة. وكل كلام بليغ فصيح وليس كلُّ فصيح بليغًا، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه"(٤).

---

(١) مقاييس اللغة:مادة (فصح):٤/٥٠٦.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني:١/٢١، البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين:٥.

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين:٧-٩، وجواهر البلاغة للهاشمي:١٧-١٩، ٤٣.

(٤) سر الفصاحة للخفاجي:٢٠.

وقد وضح ذلك في قوله: " لأن الفصاحة تنبئ عن اختيار الكلمة وحسنها وطلاوتها"(١).

أما فصاحة الكلام، فتكون في براءته من عيوب ثلاثة: وهي: ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد(٢).

المطلب الثاني: علاقة البلاغة بالإعجاز القرآني:

ارتبطت البلاغة بالإعجاز، ولعل أكبر دليل على العلاقة بينهما هو أن الإعجاز إذا أطلق أُريد به البلاغة نفسها(٣) ولعل الغرض الديني كان أكثر الأسباب مدعاة لظهور البحث البلاغي الذي كان له الأثر الكبير في تطور البلاغة العربية(٤) " إذ تُعَدُّ البلاغة والإعجاز توأمين يصعب التمييز بينهما "(٥). فقد ولد التأليف في البيان في جو القرآن؛ لأنَّ البيان من أهم ما أُعتمِدَ عليه في خدمة العقيدة الإسلامية؛ لأنَّه يعمل على إبراز معاني القرآن في وجوه الجمال التي يمتاز بها. ويبين الإعجاز من نواحي عدة من حيث المعنى والأسلوب(٦) كما صرح بذلك أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) إذ قال: " اعلم علَّمك الله الخير وقيَّضه لك وجعلك من أهله أن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد

---

(١) سر الفصاحة للخفاجي:٢٨.

(٢) ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة:١/٢٨-٣٨.

(٣) ينظر: تاريخ فكرة إعجاز القرآن:٤٤.

(٤) ينظر: البلاغة عند السكاكي:٢٦٩.

(٥) نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني:١٢٦.

(٦) ينظر: البيان العربي:١٦-١٧.

معرفة الله جل ثناؤه، علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة التي يعرف بها إعجاز كتاب الله "[1]. ولأجل هذا اعتنى بعض العلماء بتناول معاني القرآن وإعجازه، فنشأت الدراسات القرآنية التي كان لها اتصال وثيق بالبلاغة والنقد؛ إذ أكد العلماء ما للأساليب البلاغية من أثر في توجيه النص القرآني وتأويله، وفي نفسية المتلقي من شعور وإحساس في قوة اللغة وأسلوبها. والعلماء متفقون على أنَّ القرآن أتى بأفصح الألفاظ وفي أحسن التآليف، وأنه معجز في ترتيبه ونظمه كما هو معجز في أسلوبه ولفظه، فما من سورة أو آية بل ما من كلمة أو حرف؛ إلا وضع في موضعه اللائق به لحكمة يعلمها منزّله ﷻ ولو نزعت منه كلمة ثم أدير لسان العرب على أحسن منها لن يوجد ذلك، ولن تتسع له اللغة بكلمة واحدة[2]. كما قال الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) موضحًا ما لاختيار اللفظ ونظمه في السياق من أهمية: " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك "[3]. وأشار الرماني (ت: ٣٨٤هـ) إلى تلاؤم الحروف وتعديلها في التأليف، والمتلائم في الطبقة العليا والقرآن كله متلآئم بيّن لمن تأمله[4]. ويبين الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) أن القرآن جاء بأفصح الألفاظ، وفي

---

(١) الصناعتين:٩.

(٢) ينظر: نظم الدرر:١/١٠-١١، والإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم:٢٣٨.

(٣) الحيوان:٣/١٣١.

(٤) ينظر: النكت في إعجاز القرآن:٨٨.

أحسن النظم تأليفًا، مُضَمَّنًا أصحَّ المعاني[١]. ويشير الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) إلى أن الإعجاز القرآني جاء في عجيب نظمه وبديع تأليفه ورصفه[٢]. وكذا الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) يرى أن الإعجاز في الترتيب والنسق الذي تراه في ألفاظ القرآن والغرض الذي سيقت فيه[٣].

والرازي (ت: ٦٠٦هـ) يرى أن من الإعجاز القرآني ما يكون في لطائف نظمه وبدائع ترتيبه وفصاحة ألفاظه وشرف معانيه.[٤].

فهذه النصوص وإن اختلفت عباراتها؛ فهي دالة على أن القرآن جامع بين اختيار فصيح المفردة ونظمها في سياق بأوضح المعاني وأصحها.

وجاء الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) فوضع نظرية النظم التي تقوم على تحليل علم المعاني على أساس التركيب النحوي، فاللفظ المفرد لا يمكن أن يكون له قيمة معنوية إلا عن طريق النظم، يقول: " وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا هو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها "[٥].

---

(١) ينظر: بيان إعجاز القرآن:٢٣.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن:٣٥.

(٣) ينظر:دلائل الإعجاز:٢٤١.

(٤) ينظر:التفسير الكبير:١/٣٩٤.

(٥) دلائل الإعجاز:٣٦.

وبعد هذا العرض فإن هذا البحث قائم على ما جاء من تفريق بين البلاغة والفصاحة، وإيثار المفردة القرآنية على مرادفاتها بما يقتضيه النظم والتركيب في اختيارها على غيرها. ونؤكد — هنا – أن الألفاظ المفردة ليس الغرض منها أن يفاد بها معانيها المفردة، ودلالتها عليها، بل الغرض من وراء هذه الدلالة الوضعية إفادة المعاني المركبة بسبب تركيب هذه المفردات في جمل تكون المفردات من عناصرها(١). وهو ما أشار إليه الجرجاني بقوله: "الألفاظ المفردة التي هي أوضاعُ اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها؛ ولكن لأن يُضمَّ بعضها إلى بعضٍ، فيعرف فيما بينها فوائدُ، وهذا علم شريف، وأصلٌ عظيم"(٢).

فالعناية في هذا البحث بالمفردة لبيان علل ولطائف اختيارها –دون غيرها– التي هي لَبِنَات المعنى التركيبي.

المطلب الثالث: تعريف المفردة وخصوصيتها:

المقصود من كلمة "مفردة":

المفردة تعني الاسم، وتعني الفعل حين يرتبط الاسم بعامل زمني(٣)، ويدلنا المعجم على أن المفردة تلتقي مع الفَرد والمفرد والفردية والجوهرة الفريدة والانفراد،

---

(١) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي:١/١٩٤.

(٢) دلائل الإعجاز:٥٣٩.

(٣) قال سيبويه:"وأما الفعل فأَمْثِلَة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع...والأحداث نحو:الضرب والحمد والقتل"الكتاب:١/١٢، قال العكبري شارحًا تعريف سيبويه:" وقد أَتى في هذا بالغاية؛ لأنه جمع فيه قوله (أَمْثِلَة)، والأمثلة بالأفعال أحق منها بالأسماء والحروف، وبين أنها مُشْتَقَّة من المصادر، والمراد بأحداث الأسماء ما

وتدل على العدد واحد، وهذا كله نقيض التثنية والجمع، يقول الله تعالى ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الأنبياء: ٨٩(١).

والمفردة هي التي تساهم في الإعجاز القولي في أسلوب القرآن، ولا ترادف مصطلح الكلمة من كل وجه؛ لأن الكلمة قد تعني أحيانًا العمل الأدبي، فهي أداته الفنية، وتعني بالتالي المادة التي يُنسجُ منها النص، وقد تطلق الكلمة ويراد بها ما يتجاوز انفرادها؛ كقولهم: كلمة الشهادة(٢)، وقد تشترك المفردة مع الكلمة حسب تقسيم النحاة في الاسم والفعل والحرف(٣)، إلا أن لفظ الانفراد يشعر بخروج حروف الربط بين المفردات؛ لأنها أعلق بمسألة النظم، وهو ما سِرْتُ عليه في هذا البحث سوى بعض أحرف المعاني التي تعطي معنىً دقيقًا متكاملًا.

كان فيها عبارة عن الحدث، وهو المصدر؛ لأنه من بين الأسماء عبارة عن الحدث. وقوله: (بنيت لما مضى) الفصل، إشارة إلى دلالتها على أَقسام الزَّمان: الماضي، والحاضر، والمستقبل.ينظر:مسائل خلافية في النحو:٦٨-٦٩. فالأفعال صيغ أو أبنية تؤخذ من المصادر، فتدل بمادتها على المصدر، وبصيغتها على الزمن.

(١) ينظر: الصحاح:مادة (فرد):٢/٥١٨، ومقاييس اللغة:٤/٥٠٠-٥٠١، والمعجم الوسيط:٢/٦٨٦.

(٢) قال ابن مالك:واحده كلمة والقول عم.... **وكلمة بها كلام قد يؤم**. قال المرادي:"لأن الكلمة قد يقصد بها في اللغة ما يقصد بالكلام".ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك:١/٢٧٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق:١/٢٧١.

وأما استخدام مصطلح المفردة، دون اللفظة؛ لما يؤكد من خلال الاشتقاق انفرادها بالجمال الفني، الذي لا يؤكده مصطلح اللفظة، وإن كان قد استخدم مصطلح المفردة في الأدب واللغة وكتب الإعجاز إلى جانب مصطلح الألفاظ(١).

خصوصية المفردة القرآنية:

أثبت البيانُ القرآنيُّ قوة في الربط بين المتلقي والنص بمتانة، وهذا الاستحقاق يكمُنُ في ديمومة ربط القارئ بالواقع النفسي في القدرة على إثارته على مر العصور، وإذا كانت مفرداته من مصدر إلهي، فهذا يعني سموه على غيره، فقد نزل باللسان العربي الفصيح، وبخصائص الكلام المبين التي تدل على وجوب الاعتراف بالبيان لمن علَّم البيان، وهذه الخاصية للمفردة القرآنية تسري في الآيات في تلاؤم تامٍّ، ولا يمكن أن نعدَّها تَفَضُّلًا أو ترفًا ذهنيًّا، فالمفردة سامية بنسبتها إلى منزلها في إطار البيان الذي يعيه العربُ خاصَّة(٢)، قال الخطَّابيُّ (ت: ٣٨٨هـ): "وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور، منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبأوضاعها، التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أفهامُهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية لأحمد ياسوف:١٩-٢١.رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في الآداب دار الكتبي، دمشق،الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.

(٢) ينظر: جماليات المفردة القرآنية لأحمد ياسوف:٣٠.

بعضها ببعض؛ فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله. وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورابط لهما ناظم. وإذا تأملتَ القرآنَ وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه... "(١).

المطلب الرابع: مفردات القرآن بين البناء والمضمون:

إن الناظر في المفردة القرآنية يجدها قد حَسُنَ اختيارُها بما جمعت بين الرَّسم وما تحمله من معنى، بتزامن بين جمال صوت الكلمة وبلوغ المراد منها، وهذا أعلى فصاحة للمفردة؛ فرقة اللفظ، والسلاسة والسهولة والعذوبة، في معنى رائق جزل قريب، تميزه وتفرده، وإن كان الصوت مرحلة متقدمة على المعنى، إلا أنهما مطلب ندر في الشعر والأدب وهو من خصائص القرآن والملازم له، الذي هو كلام الله ﷻ، يقول ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ): "ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل، ويميل إليه، ويكره صوت الغراب ويفر منه، والألفاظ على هذا المجرى، فلفظ: (المزُنة) أو (الديمة) حسنة يستلذها السمع، ومألوفة الاستعمال، فهي فصيحةٌ، ولفظةُ: (البُعاق) يكرهها السمع، وهي نادرة الاستعمال، مع أنَّ الألفاظ الثلاثة من صفات المطر. ومن له أدنى بصيرة يعلم أنَّ للألفاظ في الأذن

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٣٢.

نغمة لذيذة...، وصوتًا منكرًا كصوت الحمار، وأن لها في الفم –أيضاً– حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل... "(١).

ويشير ابن أبي الأصبع (ت: ٦٥٤هـ) إلى ميزة اللفظ في كلام المتكلم، وأنه منه بمنزلة الفريدة من حبِّ العِقد، وإذا سقطت هذه اللفظة من كلام عزَّت على الفصحاء غرابتها، ثم يشير إلى أن هذا كثيرٌ في القرآن، فيقول: "فقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز غرائبُ، لا يقع مثلُها لمخلوق، وهي من الكثرة في القرآن بحيث يَعْسُر حصرُها، منها قولُه تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ يوسف: ٥١وقوله تعالى على لسان إخوة يوسف ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ يوسف: ٨٠فألفاظ هذه الجملة كلها من هذا الباب، وأجزلها قوله ﴿ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ وأفصحها قوله ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾(٢).

ويُجَلِّي ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) المناسبة في المفردة بين اللفظ والبناء فيقول: " الأصل في الأسماء هو المفرد: اعلم أن الأصل هو المعنى المفرد وأن يكون اللفظُ الدالُّ عليه مفردًا؛ لأن اللفظ قالبُ المعنى ولباسُه يحتذي حذوه والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولًا وقِصَرًا وخِفَّة وثقلًا وكثرة وقِلَّة وحركة وسكونًا وشدة ولينًا، فإن كان المعنى مفردًا أفردوا لفظه وإن كان مُرَكَّبًا ركَّبوا اللفظ وإن كان طويلًا طوَّلوه كالقطنط والعشنق للطويل فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه وانظر إلى لفظ (بحتر) وما فيه من الضم والاجتماع لما كان

(١) المثل السائر لابن الأثير:١/١١٥، ٢٢١.

(٢) بديع القرآن لابن أبي الإصبع:٢٨٧.

مسماه القصير المجتمع الخلق وكذلك لفظة الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوها تجد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها، وكذلك لفظا الحركة والسكون مناسبتهما لمسمياتهما معلوم بالحس وكذلك لفظ الدوران والنزوان والغليان وبابه في لفظها من تتابع الحركة ما يدل على تتابع حركة مسماها، وكذلك الدَّجَّال والجرَّاح والضَّراب والأفَّاك في تكرر الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرر المعنى، وكذلك الغضبان والظمآن والحيران وبابه صيغ على هذا البناء الذي يتسع النطق به ويمتلئ الفم بلفظه لامتلاء حامله من هذه المعاني فكان الغضبان هو الممتلئُ غضبًا الذي قد اتسع غضبه حتى ملأ قلبه وجوارحه وكذلك بقيتها"(١).

ونجد مدى عناية القرآن الكريم ودقته في اختيار المفردة المستعملة فيه، وانتقائه لها، فإذا اختارها معرفة كان ذلك لسبب، وإذا انتقاها نكرة كان ذلك لغرض، كذلك إذا كانت مفردة كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كانت مجموعة كان لحال يناسبه، وقد يختارُها ويُهملُ مُرَادِفَها الذي يشترك معها في الدلالة، وقد يُفَضِّلُها على أخرى والكلمتان بمعنىً واحد، وربما يتخطَّى في التعبير المحسِّنَ اللفظيَّ والجمال البديعيَّ لغرض أسمى، وكذا اختيار التذكير أو التأنيث، والإظهار أو الإضمار، والإبهام، وغير ذلك من الاستعمالات(٢).

المطلب الخامس: إيثار المفردة والاختيار تعريفهما والفرق بينهما:

---

(١) بدائع الفوائد:٢/١٧٦.

(٢) ينظر:من أسرار التعبير في القرآن الكريم لعبد الفتاح لاشين:١٢.

إيثار المفردة: تأملت أي المفردتين أقدم في عنوان هذا البحث وما تضمنه، بين مفردة (الإيثار) أو (الاختيار)، وظهر لي أن مفردة (الإيثار) أليق بموضوع البحث من مفردة (الاختيار) لما سيأتي بيانه:

الاختيار في اللغة: يطلق الاختيار في اللغة ويراد به عدة معان:

١. التفضيل والتغليب: ومنه قوله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ التوبة: ٨٨جمع خَيْرَة، وهي الفاضلة من كل شيء[(١)]، ومنه حديث أبي ذر: ((أنَّ أخاه أُنيسًا نافر رجلاً عن صِرْمة[(٢)] له وعن مثلها، فَخُيِّرَ أُنيس فأخذ الصرمة))[(٣)] قال ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ): أي: فضل وغلب، يقال: نافرته فنفرته، وخايرته فخِرته: أي: غلبته. ,يقال: اخترت فلانًا على فلان، أي: فضلته[(٤)].

٢. التقديم: ومنه قوله تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الدخان: ٣٢أي: يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى خيرًا، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم.

---

(١) ينظر:الصحاح للجوهري:مادة(ختر):٣٢٤.

(٢) الصرمة:هي القطعة من الأبل واختلف في عددها فقيل:ما بين العشرين إلى الثلاثين، وقيل:إلى الخمسين، وقيل بين العشرة إلى الأربعين، وقيل:ما بين عشرة إلى بضع عشرة. القاموس المحيط للفيروزآبادي:مادة (صرم):١٤٥٨.

(٣) ذكره ابن الأثير بهذا اللفظ في النهاية في غريب الحديث والأثر:٢/٩١، وأخرج نحوه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب:من فضائل أبي ذر، رقم(٢٤٧٣).

(٤) ينظر:النهاية في غريب الحديث والأثر:٢/٩١.

والمراد بالتقديم: أن الله تعالى اختارهم على عالمي زمانهم على علمٍ منه باستحقاقهم لذلك، وليس المراد أنه اختارهم على جميع العالمين(١).

٣. الطلب: قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): "والخيار: الاسم من الاختيار"(٢)، وهو طلب خير الأمرين(٣).

٤. الانتقاء والاصطفاء: قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): "والاختيار: الاصطفاء، وكذلك التَخَير"(٤)، يقال: خار الشيء، أي: انتقاه واصطفاه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ الأعراف: ١٥٥، أي: انتقى واصطفى(٥).

أما الإيثار في اللغة:

الأثر: من قوله أثر على الأمر: عزم. وأثره له: تفرغ. وآثر: اختار. وأثر كذا بكذا: أتبعه إياه. والآثار: الأعلام. والأثيرة من الدواب: العظيمة الأثر في الأرض بخفِّها أو حافرها.

---

(١) ينظر: تاج العروس للزبيدي: مادة (ختر): ٦/٣٨٣.

(٢) الصحاح: مادة (ختر): ٣٢٤.

(٣) ينظر: تاج العروس للزبيدي: مادة(ختر): ٦/٣٧٩.

(٤) الصحاح مادة: (ختر): ٣٢٥.

(٥) ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي: مادة(خير): ٤٩٧، وتاج العروس للزبيدي: مادة (خير): ٦/٣٧٨.

واستأثر بالشيء: استبد به وخَصَّ به نفسه. واستأثر الله بفلان: إذا مات ورُجي له الغفران. وما بقي من رسم الشيء فهو إثِر بالكسر والسكون وبفتحها أيضًا. وحديث مأثور: من الأثر، وآثرت الحديث فأنا آثره: أي أرويه. وآثر على نفسه: بالمد من الإيثار وهو الاختيار. والأثرة: بمعنى التقدم والاختصاص، من الإيثار. والأثرة: بالضم المكرُمة المتوارثة ويستعار (الأثر) للفضل، والإيثار للتفضيل، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يوسف: ٩١، فَفَضلَك وقدَّمك(١).

الفرق بين الإيثار والاختيار:

إن الإيثار يقصد به الاختيار المقدم، ومنه، قوله تعالى﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يوسف: ٩١، أي: قدمك علينا في الاختيار وإن كان إخوة يوسف عليه السلام مختارين(٢) عند الله ﷻ، ثم توسَّع في إطلاق الاختيار على أفعال الجوارح الاختيارية، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الدخان: ٣٢، ثم

---

(١) ينظر:القاموس المحيط للفيروزآبادي:مادة:(أثر):٤٣٥-٤٣٦، ولسان العرب لابن منظور: مادة(أثر):٤/٥-١٠، والكليات للكفوي:٤٠.

(٢) وهو على أحد الأقوال في كون إخوة يوسف عليه السلام أنبياء، أم لا؟ ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٩/١٣٣، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل:٧/٢٦٧، ونسبه للأكثرين، والتفسير الكبير للرازي:١٨/٤٢٤، وقد جمع بين القولين:فقال:إما بأنهم ليسوا أنبياء، أو أنهم أثناء الواقعة في حسدهم ليوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء. والمحرر الوجيز:٣/٢٢٠وقد نقل ابن عطية قول ابن زيد بأنهم أنبياء، ورده بمخالفته للعصمة، واستظهر أنهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت أثناء الواقعة.

إنه قد يقال: أنت من أهل الأثرة عندي، أي ممن أفضله على غيره بتأثير الخير، وعليه يقال: آثرتك بهذا ولا يقال: اخترتك به؛ وإنما يقال: اخترتك لهذا الأمر، فالفرق بين الإيثار والاختيار بَيِّن من هذا الوجه(١). فالإيثار أخصُّ من وجه ويدخل فيه الاختيار.

وأيضًا: من تقديم مفردة (الإيثار) على مفردة (الاختيار) في هذا البحث، اشتراك بعض العلوم في مفردة (الاختيار) كالاختيار في الفقه والتفسير وغيرهما، بخلاف مفردة (الإيثار) فاختصاصها بالبيان جلية.

* * *

(١) ينظر: الفروق اللغوية للعسكري: ٨٧-٨٨.

المبحث الثاني: إيثار المفردة في قصة المراودة في سورة يوسف عليه السلام:

قصة المراودة خليط جاء من الانفعالات التي تبرز بالقول و الفعل، أو تُكَنّ في الصدور تنفث حرها بمشاعر ممزوجة بالحب و التهديد والوعيد و الحسد والكيد، وتشخص بينها الرحمة والعفة والشفقة والعفو والتسامح وغير ذلك، وهذه الانفعالات فيها من اللطف والرقة والتفصيل ما يصعب على البشر أن يعبر عنها، ويلم بأحداثها، وفق واقعها؛ ولذا فإن دراسة المفردة وفق سياق هذه القصة، يجعل المفردة تجلي حيثيات الحدث المراد بيانه، بأدق تفاصيله، وألطف تصويره، في مشهد يَمْثُل أمام القارئ، يحلق به في أجواء القصة، بأشخاصها وأحداثها وزمانها ومكانها...، إلى أن اعترفت امرأة العزيز بعفة يوسف عليه السلام من الفاحشة؛ ليصل القارئ إلى الاطمئنان بأن هذا القرآن هو كلام الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٢١ – ٢٢.

﴿ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ ﴾: إيثار مفردة (المرأة) على الزوجة: ترى البيان القرآني يستعمل مفردة (زوج) حينما يتحدث عن آدم وزوجه كقوله ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾ البقرة: ٣٥،على حين يستعمل مفردة (امرأة) في مثل: امرأة العزيز، وامرأة نوح، وامرأة لوط، وامرأة فرعون...، وقد يبدو أن بين المفردتين ترادف فيقوم أحدهما مقام الآخر؛ ولكن الاستعمال القرآني للمفردتين جاء مُفَرِقاً، قال ابن القيم"... إنَّ السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ الأزوج أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة

والمجانسة والاقتران، كما هو المفهوم من لفظه، فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان أو المتساويان... فتأمل هذا المعنى تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن ومعانيه، ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر، وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ (المرأة) دون (الزوجة) تحقيقًا لهذا المعنى"(١): فكلمة زوج تأتي حين تكون الزوجة مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريعًا وحكمًا، ففي آية الزوجية قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١، وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ الفرقان: ٧٤، فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة، بخيانة أو تباين في العقيدة، فامرأة لا زوج، كما في قوله تعالى ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ يوسف: ٣٠، وكقوله تعالى ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ التحريم: ١٠.

وفي قوله ﴿ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ التحريم: ١١وقد تعطلت بينهما آية الزوجية، بإيمانها وكفره. وكذا إذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم، فامرأة لا زوج، كقوله تعالى في امرأة إبراهيم ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ ﴾ هود: ٧١وفي زكريا قوله تعالى ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ مريم: ٥،فلما استجاب الله ﷻ له ورزقه الولد قال

(١) جلاء الأفهام لابن القيم:١٢٩، عقد فصلًا قرر فيه الفرق بين الزوجة والمرأة مع ذكر الأدلة والتوجيه.

تعالى ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ الأنبياء:٩٠(١)، وهنا تجلت المفردة -التي معنا- في سورة يوسف، حيث قطعت المشاكلة والمشابهة بين العزيز وامرأته بأنه لا يولد له ولم يأت النساء(٢)، ولذا جاء التعبير بالمرأة دون الزوجة.

﴿أَكۡرِمِي﴾: إيثار مفردة (الكرم) دون غيرها، ومجيؤها بصيغة الأمر، فصيغة الأمر دالة على زيادة العناية به، وتحريص زَليخا من التهاون تجاهه، مع ما تحمله مفردة (الكرم) من الإعطاء بالسهولة مع طيب نفس سواء كان المعطى قليلًا أو كثيرًا(٣).

﴿مَثۡوَىٰهُ﴾: إيثار المفردة (المثوى) دون أن يقال: (أكرميه): المثوى: هو منزله ومقامه عندك من قولك ثويت بالمكان إذا أقمت به، ومصدره الثواء، والمعنى: اجعلي منزله عندك كريمًا حسنًا مرضيًّا، وأمر العزيز امرأته بإكرام مثواه دون إكرام نفسه، يدل على أنه كان ينظر إليه على سبيل الإجلال والتعظيم(٤). وقيل: إذا كان الإكرام في المكان فهو إكرام للنفس وزيادة، كما قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "اجعلي إقامته عندك كريمة، أي كاملة في نوعها"(٥). وقال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "وهذا كناية عن إكرامه عليه السلام نفسه على أبلغ وجه

(١) ينظر: جلاء الأفهام:١٢٩-١٣١، الإعجاز البياني لبنت الشاطئ:٢٢٩-٢٣١.

(٢) ينظر:جامع البيان:٦٣/١٣.

(٣) ينظر:الفروق اللغوية للعسكري:١٧١، والكليات للكفوي:٣٩٨.

(٤) ينظر: التفسير الكبير للرازي:١٠٩/١٨.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور:٢٤٦/٧.

وأتمه؛ لأن من أكرم المحل بتنظيفه وفرشه ونحو ذلك فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به"(١).

﴿عَسَىٰٓ﴾: إيثار المفردة (عسى) دون لعل: يقول أبو البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ): "ويستعمل في المتوقع فيه (لعل)، وفي المطموع فيه (عسى) "(٢). وقال في موضع آخر: "عسى هي موضوعة لرجاء دنو الخير، بل لطمع حصول مضمون الخير مطلقًا، سواء يرجى حصوله عن قريب أو بعد مدة مديدة، تقول: عسى الله أن يدخلني الجنة، وعسى النبي أن يشفع لي، وإذا قلت: عسى زيد أن يخرج، فهي بمعنى: لعله يخرج، ولا دنو في (لعل) اتفاقًا"(٣).

﴿يَنفَعَنَآ﴾: إيثار مفردة (النفع) دون غيرها كالخدمة، لشمول النفع وأنه في أبواب الدنيا وغير ذلك من وجوه النفع(٤)، بدلالة التعليل الآخر في قوله ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ فيقوم بإصلاح مهماتهما(٥)، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "وإنما قال ذلك لحسن تفرسه في ملامح يوسف عليه السلام المؤذنة بالكمال"(٦).

﴿نَتَّخِذَهُۥ﴾: إيثار مفردة (الاتخاذ) دون غيرها كالجعل، فمعنى الأخذ والتَّخذ واحد، وهو حَوز الشيء وتحصيله، لما فيها من دلالة الاصطفاء

---

(١) روح المعاني:٦/٣٩٨.

(٢) الكليات: ٤٦٩.

(٣) المصدر:٦٥٧.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية:٣/٢٣١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير للرازي:١٨/١٠٩.

(٦) التحرير والتنوير:٧/٢٤٦.

والاختيار والاهتمام ما ليس في غيرها، فهو كقوله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ النساء: ١٢٥(١)، وقد فرق أبو البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ) بين أعصر خمرًا، وأتخذ خمرًا، فقال: "العصير للرطب لا للتمر، فإن المتخذ منه النبيذ دون العصير، ومن هنا اتضح وجه رجحان عبارة (أعصر) على (أتخذ) في قوله ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ يوسف: ٣٦ "(٢).

﴿وَلَدًا﴾: إيثار مفردة (ولد) دون الابن؛ لأن في لفظ الولد عموم وشمول من حيث الجنس، ومن حيث العدد، يقول الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): "الولد المولود يقال للواحد والجمع والصغير والكبير، ويقال للمتبنَّى، قال أبو الحسن: الولد الابن، والابنة، والولد هم الأهل والوِلْد"(٣).

﴿مَكَّنَّا﴾: مجيء مفردة التمكين (مكنا) لما فيها –هنا– من دلالة على بداية الانتصار والاستقرار وتقدير أول أجزائه، وجاء تمكينه من الأرض بالوجه الأتم في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ يوسف: ٥٦)(٤)، والتمكين مأخوذ من المكان والظفر(٥)، ومشعر بالاستقرار بعد التنقل الذي لحق يوسف عليه السلام، حتى صار متمكنًا من الأمر والنهي في أرض مصر(٦)،

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي:٢/٥٧.

(٢) الكليات:٦٥٢.

(٣) المفردات:٨٨٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور:٧/٢٤٧.

(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور: مادة (مكن):١٣/٤١٤.

(٦) ينظر: التفسير الكبير للرازي:١٨/١٠٩.

قال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "أي: جعلنا له فيها مكانًا، يقال: مكنه فيه أي: أثبته فيه، ومكن له فيه أي: جعل له مكاناً فيه"(١).

﴿لِيُوسُفَ﴾: دخول (اللام) على يوسف دون تعدية الفعل إلى مفعوله يشير إلى التعليل، لما في اللام من دلالة الأخذ والملك.

﴿فِي﴾: إيثار مفردة (في) دون من وغيرها، زيادة في قوة التمكين ولدلالة (في) على العمق.

﴿ٱلْأَرْضِ﴾: إيثار مفردة (الأرض) دون مصر وغيرها، لبيان سعة التمكين وأنه ليس متعلقًا بمصر أو مدينة أو قرية.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾: الإتيان بمفردة (التعليم) دون غيرها كالمعرفة، "فعرفة الشيء وعلمتُه، إذا أردتَ الإثبات الذي يرتفع معه الجهل، إلا أن قولك: عرفت يقتضي مفعولًا واحدًا كقولك: عرفت زيدًا، وعلمتُ يقتضي مفعولين كقولك: علمتُ زيدًا عاقلًا، ولذلك صارت المعرفة تستعمل خصوصاً في توحيد الله تعالى وإثبات ذاته، فتقول: عرفتُ الله، ولا تقول: علمتُ الله، إلا أن تضيف إليه صفة من الصفات، فتقول: علمتُ الله عدلًا، وعلمتُه قادرًا، ونحو ذلك من الصفات، وحقيقة البيان في هذا أن العلم ضده الجهل، والمعرفة ضدها النكرة"(٢).

ومن الفروق كذلك ما ذكره ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) حيث وافق الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) في الفرق اللفظي، وأضاف ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) الفرق المعنوي، فقال: "أما الفرق المعنوي فمن وجوه:

---

(١) روح المعاني:٦/٣٩٨.

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي:٣٥.

أحدها: أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله، فتقول: عرفت أباك، وعلمته صالحًا عالماً، ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة؛ كقوله تعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ محمد: ١٩،.. فالمعرفة: حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس، والعلم: حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه، فالمعرفة: تشبه التصور، والعلم: يشبه التصديق.

الثاني: أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل: عرفه، أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل: عرفه... فالمعرفة: تشبه الذكر للشيء، وهو حضور ما كان غائبًا عن الذكر، ولهذا كان ضد المعرفة الإنكار، وضد العلم الجهل، قال تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ النحل: ٨٣،ويقال: عرف الحق فأقر به، وعرفه فأنكره.

الوجه الثالث: أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، وهذا الفرق غير الأول؛ فإن ذاك يرجع إلى إدراك الذات وإدراك صفاتها، وهذا يرجع إلى تخليص الذات من غيرها، وتخليص صفاتها من صفات غيرها"(١)

﴿ تَأۡوِيلِ ﴾: إيثار مفردة (التأويل) دون التفسير: قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "وهو إرجاع الشيء إلى حقيقته ودليله. فتأويل الأحاديث: إرجاع

(١) مدارج السالكين (٣/٢٥٠)، وكذلك نقله ابن القيم في بدائع الفوائد:٢/٥٥، وأطال فيه فيراجع.

الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التمام"[1]، ففيها دلالة على خفاء هذا العلم، ففيه جانب علم يحتاج للنظر فيه، وجانب إلهام وفتح يمن الله به على من يشاء.

﴿ٱلْأَحَادِيثِ﴾: إيثار مفردة (الأحاديث) دون الرؤى وغيرها، كما في قوله ﴿لَا نَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ يوسف: ٥،وقوله ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ يوسف: ٤٤، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "الأحاديث: يصح أن يكون جمع حديث بمعنى الشيء الحادث... ويصح أن يكون الأحاديث جمع حديث بمعنى الخبر المتحدَّث به"[2] وما تشعر به مفردة الأحاديث من تناقل الأحاديث وعناية ذلك العصر بالرؤى والأحلام[3].

﴿غَالِبٌ﴾: إيثار مفردة (غالب) على صيغة الفعل يغلب، لما في الجملة الاسمية من الثبات والإحكام، بأن الله غالب وحكمه ماضٍ لا يتبدل.

﴿عَلَىٰٓ﴾: إيثار مفردة (على) دون غيرها، للدلالة على الاستعلاء، يقول ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "وحرف (على) بعد مادة الغلب ونحوها يدخل على الشيء الذي يتوقع فيه النزاع؛ كقولهم: غلبناهم على الماء"[4]، فما أراده الله هو المستعلي والنافذ.

---

(١) ينظر:التحرير والتنوير لابن عاشور:٧/٢١٦.

(٢) المصدر السابق:١٢/٢١٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق:١٢/٢١٦.

(٤) التحرير والتنوير:١٢/٢٤٧.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: إيثار مفردة (العلم) دون غيرها، للدلالة على من زعم بأن له أمر دون إرادة الله ومشيئته، لا يعلم أن الله هو النافذ أمره لما أراد، أو لا يعلم لطائف صنعه، وخفايا فضله لمن أراد الله رعايته وحفظه(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف:٢٢،

﴿بَلَغَ﴾: إيثار مفردة (بلغ) على دون غيرها مثل (وصل) يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "الباء واللام والغين أصلٌ واحد، وهو الوصول إلى الشيء، تقول: بَلَغتُ المكان، إذا وَصَلت إليه"(٢)، قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): " بَلَغْتَ المكان بُلوغًا: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفتَ عليه. ومنه قوله تعالى: {فإذا بلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} أي قارَبْنَهُ"(٣).

وفي الوصل: كلُّ شيءٍ اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينَهما وُصْلَةٌ. ومِوْصِل الْبَعِير: مَا بَين العَجُز وفخِذِه، وَقَالَ أَبُو النّجم:

تَرَى يَبِيس الماءِ دُونَ المِوْصلِ مِنْهُ بعَجْزٍ كصفَاة الجَيْحل.

والوصيلة: هِيَ الأَرْض الوَاسِعة كَأَنَّهَا وُصلَت بأُخرى، يُقَال: قطَعْنَا وصيلةً بعيدَة(٤).

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود:٤/٢٦٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: مادة (بلغ):١/٣٥٠.

(٣) الصحاح: مادة(بلغ):٤/١٣١٦.

(٤) العين مادة (وصل):٧/١٥٢، تهذيب اللغة:مادة (وصل)١٢/١٦٤.

قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): " ووَصَلَ إليه وُصُولاً، أي بلغ، ووصل بمعنى اتصل"(١).

وقال ابن فارس: " الواو والصاد واللام: أصلٌ واحدٌ يدل على ضمِّ شيء إلى شيءٍ حتى يَعْلَقَهُ"(٢). وما أضافه ابن فارس في (وصل) بقوله: "حتى يَعْلَقَهُ" وما قاله الجوهري في (بلغ): "شارفت عليه" يعطي فرقًا دقيقًا، بين "بلغ" و"وصل"، إذ مادة "وصل" غايتها الوصول والاتصال، أما "بلغ" فقد يراد بها الغاية والنهاية إلى المراد، وقد يراد بها المقاربة دون العُلْقَة، كما في قوله تعالى﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾البقرة: ٢٣١، قال ابن كثير: "هذا أمر من الله ﷻ للرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقًا له عليها فيه رجعة، أن يحسن في أمرها إذا انقضت عدتها، ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها، فإما أن يمسكها، أي: يرتجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف... أو يسرحها أي: يتركها حتى تنقضي عدتها، ويخرجها من منزله بالتي هي أحسن... "(٣).

فالله – في المطلقات– يبين أن بلوغ الأجل ليس نهايته وإنما مقاربته، ولعله يلتمس من ذلك أن قوله "بلغ" في سورة يوسف –في هذا الموضع– مقاربة الأشد وبدايته، ويدل عليه ما جاء بعده من مباشرة آية مراودة امرأة العزيز

(١) الصحاح:مادة (وصل):٥/١٨٤٢.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس مادة (وصل):٦/١١٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير:١/٦٢٩.

وعجلتها في النيل منه، عندما رأت بوادر بلوغه، ويزيده إيضاحا ما أورده محمد الرازي (ت٦٦٦هـ) بقوله: "فإن قيل: كيف قال تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يوسف: ٢٢، وقال في حق موسى عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ القصص: ١٤، قلنا: المراد ببلوغ الأشد دون الأربعين سنة على اختلاف مقداره، والمراد بالاستواء بلوغ الأربعين أو الستين، وكان إيتاء كل واحد منهما الحكم والعلم في ذلك الزمن فأخبر عنه كما وقع"(١).

﴿أَشُدَّهُۥ﴾: إيثار المفردة (الأشد) دون غيرها مثل (القوة): أن الشدة هي غاية القوة، ولم يحدد ابن جرير (ت٣١٠هـ) السنن المعتبر في معنى الأشد؛ وإنما أجاز أن يكون ابن ثماني عشرة سنة، أو ابن عشرين سنة، أو ابن ثلاث وثلاثين سنة؛ لعدم ورد ذلك عن النبي ﷺ أو في إجماع الأمة(٢). مما يؤيد ما قيل في إيثار مفردة (بلغ).

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾: إيثار مفردة (الإتيان) دون غيرها مثل (العطاء): وذلك لأن الإتيان يكون في الأمر المعنوي، ويكون الغالب في الإعطاء محسوسًا مملوكًا(٣).

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: إيثار مفردة (المحسنين) دون غيرها مثل (المتقين) ما قاله ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "وفي ذكر ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إيماء إلى أن إحسانه

---

(١) أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها:١٣٧.

(٢) ينظر: جامع البيان:٦٨/١٣، والمحرر الوجيز:٢٣١/٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير:٦٧/١٥.

هو سبب جزائه بتلك النعمة"[1]. وفيه ثناء على يوسف عليه السلام بأنه من المحسنين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يوسف: ٢٣

﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾: إيثار مفردة (المراودة) لما تدل عليه هذه المفردة من الملاطفة ما يسوق الملاطَف إلى الغرض[2]، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "الراء والواو والدال معظمُ بابه على مجيء وذهاب من انطلاقٍ في جهة واحدة"[3]، وإيثار المفردة بصيغة المفاعلة دليل على تكرار المحاولة منها.

وهذه الصيغة (مفاعلة) وإن كانت من جانب واحد وهي امرأة العزيز، إلا أن جمال يوسف عليه السلام لما كان سبب لمراودتها أنزل منزلة الجانب الآخر؛ فروعي جانب الحقيقة بإسناد الفعل إلى فاعله وأُوقع على صاحب السبب[4]. يقول الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ): "وأعجب من هذا الكلمة ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾وهي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف عليه السلام بألوان من أنوثتها لون بعد لون، ذاهبة إلى فن، راجعة من فن؛ لأن الكلمة مأخوذة من رَوَدان الإبل في مشيتها، تذهب وتجيء في رفق، وهذا يصور حيرة المرأة

(١) المصدر السابق:١٥/٢٤٨.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية:٣/٢٣٢.

(٣) مقاييس اللغة: مادة (رود):٢/٤٥٧.

(٤) ينظر:إرشاد العقل السليم:٤/٢٦٤.

العاشقة، واضطرابها في حبها أو محاولتها أن تنفذ إلى غايتها، كما يصور كبرياء الأنثى إذ تختال وتترفق في عرض ضعفها الطبيعي كأنما الكبرياء شيء آخر غير طبيعتها"(١)، وبين ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) وجه الشبه في نقل (المراودة) من دلالتها اللغوية فقال: " شبه حال المحاول أحدًا على فعل شيء مكررًا ذلك بحال من يذهب ويجيء في المعاودة إلى الشيء المذهوب عنه، فأطلق راود بمعنى حاول"(٢).

﴿ٱلَّتِى﴾: إيثار الموصول (التي) على غيرها كالعلم (زَليخا) أو الإضافة (امرأة العزيز): إن عدم التصريح باسمها والعدول عنه إما للمحافظة على السر أو للاستهجان بذكره، والإتيان بالموصول فيه تقرير المراودة وتأكيدها فهو الخادم في بيتها، فمع كونه تحت ملكها مشاهد لمحاسنها، فإن عدم ميله عليه السلام لها يدل على علو عفته ونزاهته(٣).

﴿هُوَ﴾: إيثار الضمير المنفصل (هو) دون غيره مثل (تملكه) أو (يسكن في بيتها): لإظهار شخصيته المهمة والتي يدور الحدث حولها؛ فجاء إبرازه في هذه القصة.

﴿فِى﴾: إيثار مفردة (في) على غيرها مثل (الباء): لما فيها من دلالة الظرفية من الاختفاء والعمق لمن في داخل البيت والسرية عمن هو خارجه.

---

(١) وحي القلم:٨٦.

(٢) التحرير والتنوير:١٢/٤٥.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم:٤/٢٦٥.

﴿بَيۡتِهَا﴾: إيثار مفردة (البيت): لما يشعر به هذا اللفظ من الخصوصية كما أشار إليه ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): إن المراد هو مكان بيتوتتها الخاصة(١). وهو ما دلت عليه الإضافة.

﴿عَن﴾: إيثار مفردة (عن) على غيرها مثل (على)(٢) أو (في): معديًّا بها المراودة، وذلك لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته، أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه من يده، وهو يحتال أن يأخذه منه، وهي عبارة عن التمحُّل في مواقعته إياه(٣). وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "و (عن) للمجاوزة، أي: راودته مباعدة له عن نفسه، أي بأن يجعل نفسه لها"(٤).

﴿نَّفۡسِهِۦ﴾: إيثار مفردة (النفس) دون غيرها، ما أشار به ابن عاشور (١٣٩٤هـ) بقوله: "فالنفس هنا كناية عن غرض المواقعة... أي فالنفس أريد بها عفافه وتمكينها منه،

لما تريد، فكأنها تراوده عن أن يسلم إليها إرادته وحكمه في نفسه"(٥).

---

(١) ينظر:التحرير والتنوير:١٢/٢٥٠.

(٢) قال ابن عاشور:"وأما تعديته –المراودة– بـ(على) فذلك إلى الشيء المطلوب حصوله".التحرير والتنوير:١٢/٢٥٠.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود:٤/٢٦٥.

(٤) التحرير والتنوير:١٢/٢٥٠.

(٥) التحرير والتنوير:١٢/٢٥٠.

﴿وَغَلَّقَتِ﴾: إيثار مفردة (غَلَّق) دون غيرها، مثل (وأغلقت)، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "الغين واللام والقاف أصلٌ واحد صحيح يدل على نشوب شيء في شيء"(١)، وتشعر دلالتها على قوة الإلصاق لدفة الباب وتصور للرغبة الشديدة في الخلوة بيوسف عليه السلام. وجاءت هذه المفردة بصيغة التفعيل والتضعيف: كما قال أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): "كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال، وقيل: للمبالغة في الإيثاق والإحكام"(٢). ويبين هذا القرطبي (ت: ٦٧١هـ) بقوله: "غلَّقَ للكثير، ولا يقال: غَلَقَ الباب، وأغلق للكثير والقليل"(٣). وفيه ملحظ آخر أشار إليه الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) بقوله: "وأغلقت الباب وغلَّقته على التكثير وذلك إذا أغلقت أبوابًا كثيرة، أو أغلقت بابًا واحدًا مرارًا، أو أحكمت إغلاق باب واحد... "(٤). ويحدد المعنى المراد مما ذكر ورود مفردة (الأبواب) الدال على التعدد.

ويتبين من هذه المفردة وسابقتها ما اختصَّ به المكانُ من السرية التامة لما ستطلبه منه بطمأنينة وأمان، وعزل يوسف عليه السلام عن محيط الخوف من أن يطلع عليه أحد من أهل القصر، فيكون أدعى للقبول.

---

(١) مقاييس اللغة: مادة (غلق):

(٢) إرشاد العقل السليم:٤/٢٦٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن:٩/١٤٠.

(٤) المفردات:٦١٢.

﴿هَيْتَ﴾: جاء الخلاف في أصل هذه المفردة من كونها عربية أو غير عربية، ومن مجيئها بقراءات مختلفة حيث جاء عن العشرة: قرأ نافع (ت: ٩٦هـ) والشامي (ت: ١١٨هـ) بكسر الهاء والباقون بالفتح، وقرأ هشام (ت: ٢٤٥هـ) بهمزة ساكنة بعد الهاء والباقون بالياء، وقرأ ابن كثير (ت: ٧٢هـ) بضم التاء والباقون بالفتح، وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب: بفتح الهاء والتاء من غير همز(١). ونقل الصفاقسي (ت: ١١١٨هـ) عن أبي البقاء (ت: ١٠٩٤هـ): " إنها لغة في الكلمة التي هي اسم فعل بمعنى هلمَّ وأقبلْ وليست هي فعلًا ولا التاء فيها ضمير تكلُّم ولا خطاب، وقد جزم المحقق وغيره بثبوت هذه اللغة وهو ظاهر كلام القاموس حيث قال: وهبت لك مثلث الآخر، وقد يكسر أوله أي هلم فترجع قراءته في المعنى إلى قراءة غيره، ويحتمل أن هيت بمعنى تهيأت وهو بمعناه الحقيقي من غير توسع وهي كاذبة في قولها قصدتْ إغواءه وخداعَه والكذب عليها جائز، وقد قصدت ما هو أعظم منه، وغلقت لأجله سبعة أبواب"(٢).

(١) ينظر: الكفاية الكبرى في القراءات العشر للواسطي:٢٧٨، والسبعة لابن مجاهد:٣٤٧، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري:٢/٢٩٣.

(٢) غيث النفع للصفاقسي:١٤٩.

قال الزجاج (ت: ٣١١هـ): "وأجودها وأكثرها (هيتَ لك)... فهو أكثر كلام العرب"(١) "والمعنى هَلُمَّ لك، أي أقبل إلى ما أدعوك إليه"(٢). واختار هذه القراءة الطبري (ت: ٣١٠هـ)(٣).

ويوضحها جَليَّة عبد الكريم الخطيب (ت: بعد١٣٩٠هـ) بقوله: "هو صوتُ استدعاء لهذا الأمر الذي يكون بين الرجل والمرأة، وقد جاء به القرآن الكريم على هذه الصورة التي لم تعرفها اللغة في لسانها قبل نزول القرآن؛ لأنه يحدِّث عن حال من شأنه أن يكون سِرًا بين الرجل والمرأة، ولغة مفهومة لهما ولا يعرفها غيرهما، وذلك إعجاز القرآن، ودع عنك ما ذهب إليه الذاهبون من تأويلات وتخريجات لكلمة (هيت)، وخذها على أنها حكاية صوت لا على أنها من لغة التخاطب المتعامل بها في كل مقام، إنها في مقامها هذا كلمة استدعاء وكفى"(٤).

وقول الخطيب –هنا– لا يتعارض مع ما نقل عن الزجاج والفيروزآدي.

﴿لَكَ﴾: إيثار (اللام) دون غيرها، مثل (إلى) ونحوها، قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "اللام من صلة الفعل، وأما في الأصوات فللبيان، كأنه قيل: لك أقول هذا، كما تقول: هلم لك"(٥) فالزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) يرى أن

---

(١) معاني القرآن للزجاج:٣/١٠٠.

(٢) المصدر السابق:٣/٩٩.

(٣) جامع البيان للطبري:١٣/٧٦.

(٤) تفسير القرآن للقرآن:٦/١٢٥٣.

(٥) الكشاف:٢/٤٥٥.

(هيت) اسم فعل صوت، فاللام متعلقة بالفعل، فتكون للبيان. فتبين المقصود بالمخاطب، حيث جعلت له الخصوصية دون غيره رجاء الامتثال والإقبال عليها(١).

﴿مَعَاذَ﴾: الإتيان بمفردة (معاذ) في قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ قالها يوسف عليه السلام معتصمًا بالله من حبائلها وجلبها عليه(٢)، وقد دلت هذه المفردتين على أمرين: شدة تعلقه بالله في لجوئه إليه واعتصامه به، والثاني: عظم هذه الدعوة التي تحاول امرأة العزيز إيقاعه في الفاحشة، قال أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): "وهذا اجتنابٌ منه على أتم الوجوه وإشارةٌ إلى التعليل بأنه منكرٌ هائلٌ يجب أن يُعاذ بالله تعالى للخلاص منه"(٣).

﴿ٱللَّهِ﴾وفي إيثار لفظ الجلالة (الله) دون غيره من أسماء الله الحسنى، تذكير لها وتعظيم باللفظ مناسبة للموقف، وهو أحق من يعتصم به، وأن ألوهيته وعبادته تأبى هذا المنكر العظيم(٤).

﴿إِنَّهُۥ﴾: الإتيان بـ (إن) المفيدة تعليل ما أفاده ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾من الامتناع والاعتصام منه بالله المقتضي أن الله أمر بذلك الاعتصام(٥)، ويبين الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) أن الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾للشأن وفي تصدير الجملة به من الإيذان بفخامة مضمونها ما فيه مع زيادة تقريره في الذهن أي: إن الشأن

---

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي:١٠/٦٠، والتحرير والتنوير:١٢/٢٥١.

(٢) ينظر:التحرير والتنوير لابن عاشور:١٢/٢٥١.

(٣) إرشاد العقل السليم:٣/٢٦٥.

(٤) ينظر: روح المعاني للآلوسي:٦/٤٠٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٥١.

الخطير هذا أي: هو ربي أكرمني وتعهدني، فكيف يمكن أن أخونه في حرمه؟(١).

﴿رَبِّيٓ﴾: اختلف في هذه المفردة على وجهين: يجوز أن يكون بمعنى خالقي، ويجوز أن يكون بمعنى سيدي ومالكي(٢)، وعليه الأكثر، والإتيان بالربوبية دون الملكية والسيادة، ما قاله الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "﴿رَبِّيٓ﴾: أي سيدي العزيز أحسن تعهدي حيثُ أمركِ بإكرامي على أكمل وجه فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرمه؟، وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه"(٣)، وقد يرد على هذا بأن يوسف عليه السلام لم يكن عبدًا وإنما كان حرًا، وإنما هو من صنيع أخوته، ويجيب الرازي (ت: ٦٠٦هـ) عن هذا بقوله: "أنه عليه السلام أجرى هذا الكلام بحسب الظاهر وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبداً له، وأيضاً أنه رباه وأنعم عليه بالوجوه الكثيرة فعنى بكونه ربًّا كونه مُرَبِّيًا له"(٤).

﴿أَحۡسَنَ﴾: إيثار مفردة (الإحسان) دون غيرها كالإكرام، تعليل يوسف عليه السلام لردها بالإحسان؛ لكونها جامعة لما قام به العزيز وقدمه ليوسف منذ أن اشتراه، وهو مفاد حجته عليه السلام، وهو ما أشار إليه الرازي (ت: ٦٠٦هـ) بقوله: "فلما كان هذا الرجل قد أنعم في حقي يقبح مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار"(٥).

---

(١) ينظر: روح المعاني:٦/٤٠٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٥١.

(٣) روح المعاني:٦/٤٠٢، وينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٥٢.

(٤) التفسير الكبير:١٨/١١٣.

(٥) المصدر السابق:١٨/١١٥.

﴿إِنَّهُۥ﴾: الإتيان بـ (إن) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، جاءت بعد التعليل الأول من امتناع يوسف عليه السلام عن الوقوع في الزنا وهو قوله﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ فجاءت الجملة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بيان تعليل ثان للامتناع(١)، والضمير المجعول اسما لـ (إن) يفيد أهمية الجملة المجعولة خبرًا عنه؛ لأنها موعظة جامعة، قال أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): "والضميرُ للشأن، ومدارُ وضعه موضعَه ادعاءُ شهرتِه المغنيةِ عن ذكره، وفائدة تصدير الجملة به الإيذانُ بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن، فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأنٌ مبهمٌ له خطرٌ، فيبقى الذهنُ مترقبًا لما يعقُبه فيتمكن عند ورودِه له فَضْلُ تَمَكُّنٍ، فكأنه قيل: إن الشأنَ الخطيرَ هذا وهو ربي أي سيدي العزيزُ أحسنَ مثواي أي أحسن تعهدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن أُسيء إليه بالخيانة في حَرَمه، وفيه إرشادٌ لها إلى رعاية حقِّ العزيزِ بألطف وجه"(٢).

﴿لَا يُفۡلِحُ﴾: الإتيان بـ (الفلاح): وهو الظَّفَر وإدراك البُغية، وهو ضربان: دنيوي، وهو الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز، والثاني: أخروي، وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل: لا عيش إلا عيشُ الآخرة، وهو المراد هنا، ومعنى أفلح دخل في الفلاح(٣).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٥١-٢٥٢.

(٢) إرشاد العقل السليم:٤/٢٦٥.

(٣) ينظر: روح المعاني للآلوسي:٦/٤٠٤.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الظلم في اللغة: جار وجاوز الحد، ووضع الشيء في غير موضعه(١). وإيثار مفردة ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾دون غيرها مثل المجرمون أو الضالون، مراعاة للحدث وأنه ظلم اتفقت الشرائع عليه، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) بقوله: "وأشار إلى أن إجابتها لما راودته ظلم؛ لأن فيها ظلم كليهما نفسَه بارتكاب معصية مما اتفقت الأديان على أنها كبيرة، وظلم سيده الذي آمنه على بيته وآمنها على نفسها إذ اتخذها زوجًا وأحصنها"(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤.

في هذه الآية الكريمة نجد تركيبين ارتكزا على مفردة واحدة وهي (الهَمُّ) واختلافًا في التركيب وهو ما سوف أوضحه هنا: الهم: في اللغة: يقال: همَّ بالأمر يهم هَمًّا: عزم على القيام به ولم يفعله(٣).

﴿وَلَقَدْ﴾: الإتيان بـ (قد) ولام القسم جيء به تأكيدًا لهمِّها، وليفيد أنها عزمت عزمًا محققًا. قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): " والمقصود: أنها كانت جادَّة فيما راودته لا مختبِرة، والمقصود من ذكر هَمِّها به التمهيدُ إلى ذكر انتفاء همِّه بها لبيان الفرق بين حاليهما في الدِّين فإنه معصوم"(٤).

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط:مادة (ظلم):٥٧٧.

(٢) التحرير والتنوير:٢٥٢/١٢، وينظر:روح المعاني:٤٠٤/٦.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط: مادة (همَّ):٩٩٥.

(٤) التحرير والتنوير:٢٥٢/١٢.

﴿وَهَمَّ﴾: الواو عاطفة على جملة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ كلها، وليست على جملة ﴿هَمَّتْ﴾ التي هي جواب القسم المدلول عليه باللام؛ لأنَّه لما أُردِفَتْ جملةُ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ بجملة شرط ﴿لَوْلَآ﴾ المتمحض؛ لكونه من أحوال يوسف عليه السلام وحده لا من أحوال امرأة العزيز تعيَّن أنَّه لا علاقة بين الجملتين، فتعيَّن أنَّ الثانية مستقلةُ الاختصاص بها، فَقُدِّم الجوابُ على شرطه للاهتمام به. ولم يُقرن الجوابُ باللام التي يكثر اقترانُ جواب ﴿لَوْلَآ﴾ بها؛ لأنَّه ليس لازمًا ولأنَّه لما قُدِّم على ﴿لَوْلَآ﴾ كُره قرنُه باللام قبل ذكر الابتداء بجملة ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ واضحًا، وبذلك يظهر أن يوسف عليه السلام لم يخالطه هَمٌّ بامرأة العزيز؛ لأن الله عصمه من الهمِّ بالمعصية بما أراه من البرهان(١)، هذا أحد الأقوال(٢).

القول الثاني: أنَّ الهمَّ على ظاهره حقيقة، وذكر ابن جرير للسلف ثلاثة توجيهات ارتضاها، موردًا ما قد يشكل بأنَّ الهمَّ على ظاهره:

الأول: أنَّ الابتلاء من الله عز وجل بالخطيئة؛ ليقرب الأنبياء منه فَيُقْدِمُون على الطاعة إشفاقًا، ولا يتكلون على سعة عفوه ورحمته.

الثاني: أنَّ الابتلاء من الله عز وجل؛ ليُعَرِّفهم مواضع نعمه بصفحه عنهم وترك عقابهم في الآخرة.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٥٢-٢٥٣.

(٢) ورده ابن جرير بأن العرب لا تُقدِّم جواب "لولا" قبلها، مع مخالفته جميع أهل العلم بتأويل القرآن. ينظر: جامع البيان:١٣/٨٦.

الثالث: أنَّ الابتلاء من الله ﷻ؛ ليجعلهم قدوةً يهتدي بهم المذنبون من عدم الإياس من عفو الله ورجاء رحمته ﷻ(١).

﴿بُرْهَٰنَ﴾ إيثار مفردة (البرهان) دون غيرها كالدليل ونحوها، للفرق بين البرهان والدليل: فالبرهان: الحجَّة القاطعة المفيدة للعلم، وأمَّا ما يفيد الظَّنَّ فهو الدليل. ويقرب منه: الأمارة. ولذا أفحم سبحانه الكفار بطلب البرهان منهم فقال، وهو أصدق القائلين: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٢).

﴿لِنَصْرِفَ﴾: إيثار مفردة (الصَّرف) دون غيرها مثل نُبعد، أو نُجنِّبه، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "الصاد والراء والفاء مُعْظَمُ بابه يدلُّ على رَجْع الشيء، من ذلك صَرَفْتُ القومَ صَرْفًا وانصرفوا، إذا رَجَعْتَهم فرَجَعوا، والصَّرِيف: اللَّبن ساعةَ يُحلَب ويُنصرَف به، والصَّرْف في القرآن: التَّوبة؛ لأنه يُرجع به عن رتبة المذنبين"(٣). ويبين ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) أن الصَّرف: هو نقل الشيء من مكان إلى مكان، وعبَّر به هنا عن العصمة من شيء يوشك أن يلابس شيئًا، والتعبير بالعصمة بالصرف يشير إلى أن أسباب حصول السوء والفحشاء موجودة ولكنَّ الله صرفهما عنه(٤).

---

(١) ينظر: جامع البيان:١٣/٨٥-٨٦، ثم ذكر الأقوال المخالفة.

(٢) ينظر:الفروق اللغوية للعسكري:٩٧. الكليات للكفوي:٢٤٨، البرهان:٤٣٢، والدليل:٣٢٠.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس:مادة (صرف):٣/٣٢.

(٤) ينظر: التحرير ولتنوير:١٢/٢٥٤-٢٥٥.

﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: إيثار مفردة (السوء) دون مفردة (الهَمّ) السابقة الذِّكر، يدل على العموم وأن ماهية السوء مصروفة عنه(١)، قال الزجاج (ت: ٣١١هـ): "... فالسوء: خيانة صاحبه"(٢)، ولما تُشعِرُ به المفردة من أنها تسوءُ صاحبَها، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "السين والواو والهمزة...؛ إنما هي من باب القُبح، تقول: رجلٌ أسوَأُ، أي: قبيحٌ، وامرأةٌ سَوآء، أي: قبيحة... ولذلك سميت السَّيِّئة سيئة، وسمِّيت النار سُوأى، لقُبْح منظرها"(٣).

﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: إيثار مفردة (الفحش) دون غيرها مثل (الزنى) الدال عليه ما قبله من مراودة امرأة العزيز، ما يدل على تعظيم هذا الفعل، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "الفاء والحاء والشين كلمة تدلُّ على قُبْحٍ في شيء وشَناعة، ومن ذلك الفحْش والفَحْشاء والفاحشة، يقولون: كلُّ شيء جاوزَ قَدرَه فهو فاحش؛ ولا يكون ذلك إلا فيما يُتَكَرَّه"(٤).

﴿عِبَادِنَا﴾: الإتيان بمفردة (العبودية) دون غيرها كمربوبنا، دليل واضح على أن يوسف عليه السلام في أسمى المراتب وأعلاها، وهي العبودية، كما أنزل الله نبينا محمد ﷺ هذه المنزلة في أعظم المقامات، ففي مقام الوحي قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ الكهف: ١، وقوله تعالى:

---

(١) ينظر: التفسير الكبير:١١٥/١٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه:١٠٢/٣. وينظر:التحرير والتنوير:٢٥٥/١٢.وذكر القرطبي أقوالا كثيرة في الفرق بين السوء والفحشاء، ينظر:الجامع لأحكام القرآن:١٤٦/٩.

(٣) مقاييس اللغة:مادة (سوء):١١٣/٣.

(٤) المصدر السابق: مادة (فحش):٤٧٨/٤.

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ النجم: ١٠، وفي مقام الدعوة قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ الجن: ١٩، وفي مقام التشريف بالإسراء قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الإسراء: ١، وغير ذلك من الآيات، وفيه ملحظ آخر وهو بيان حال المؤمنين ممن جعل الأنبياء قدوة وأسوة لهم وهو داخل في العبودية لله ﷻ بأنه سيناله من الحفظ والرعاة ما ناله يوسف عليه السلام في لجوئه إلى الغالب على الأمور ومقدرها وهو العليم الحكيم.

﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ : إيثار مفردة (الإخلاص) دون غيرها مثل المتقين أو الصالحين، حيث جاءت هذه المفردة بقراءتين متواترتين(١)، الأولى: المخلَصين بفتح اللام، بنوا الفعل للمفعول من (أخلص) فهو مخلَص؛ لأن الله ﷻ أخلصهم، أي: اختارهم لعبادته، والثانية: المخلِصين بكسر اللام، بنوا الفعل للفاعل من (أخلص) فهو مخلِص، والمفعول محذوف فأضافوه إلى العبادة؛ لأنهم أخلصوا أنفسهم لعبادة الله(٢)، وفي المعنى ما يدل على الخلوص من الشوائب والصفاء، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "الخاء واللام والصاد أصل واحد مطَّرد، وهو تنقيةُ الشيء وتهذيبه"(٣)، فالمخلصين: "أي: من المجتبينَ المطَهَّرين المختارين المصطفين الأخيار،

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام، وقرأ الباقون بالكسر. ينظر: غيث النفع للصفاقسي:١٥٠.

(٢) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي:٢/٩-١٠

(٣) مقاييس اللغة: مادة (خلص):٢/٢٠٨.

صلوات الله وسلامه عليه "[1]، ومناسبة الإتيان بها هنا في سياق براءة يوسف عليه السلام وأنه لم يلتبس بما يُشين، وهو ما بينه أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ) بقوله: "وفي صرف السوء والفحشاء عنه وكونه من المخلصين دليل على عصمته"[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يوسف: ٢٥.

﴿ وَٱسْتَبَقَا ﴾: إيثار مفردة (الاستباق) دون غيرها مثل جريا وركضا، واشتراكهما في ضمير واحد؛ لأن مفردة الاستباق وما في صيغة الفعل (استبقا) ما يدل على الجهد والعزيمة والإصرار المبذول، وفي التثنية، ما يدل على المشاركة في الفعل مع اختلاف القصد، فهو يريد الخروج وهي تريد منعه، ومفردة الاستباق تشعر بتحديد الهدف والنهاية لكل منهما، وفيه ما يدل على التقارب بينهما مما يصور مشهد الجدية المتناهية والعزيمة على تحقيق الهدف لكل منهما. ويدل عليه عدم تعدية الفعل بـ (إلى) فلم يقل: واستبقا إلى الباب، لبيان أن القصد ليس مجرد السبق وإنما هو الوصول للباب فيوسف عليه السلام يريد فتح الباب والهرب، وزَليخا تريد إغلاق الباب وعدم السماح ليوسف بالخروج[3]. وحذفها كذلك يدل على سرعة مباشرة الوصول للباب فلو وجدت (إلى) لأشعرت بتأخر زمني، وطول مسافة، قال أبو السعود (ت: ١٣٩٤هـ): "وإسناد السبق

(١) تفسير القرآن العظيم:٣٨٢/٤.

(٢) تفسير البحر المحيط:٢٣/٧.

(٣) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل:١٦/٢.

في ضمن الاستباق إليها مع أن مرادها مجردُ منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء إلى الباب؛ لأنها لما رأته يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرعت هي – أيضًا – لتسبِقَه إليه وتمنعه عن الفتح والخروج، أو عبر عن إسراعها إثْرَه بذلك مبالغة"(١).

﴿ٱلۡبَابَ﴾: الإتيان بمفردة (الباب) مفردًا دون الجمع المذكور سابقًا في قوله ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ جاء الباب بالإفراد لبيان أن هذا الباب هو المخرج من الدار(٢). ويزيد ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) الأمر إيضاحًا بقوله: " وقد علم من الكلام أن يوسف عليه السلام فتح الأبواب التي غلقتها زليخا بابًا بابًا حتى بلغ الخارجيَّ، كل ذلك في حال استباقهما، وهو إيجاز"(٣). وقد أورد أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ) احتمالًا في اللفظ فقال: " ويحتمل أن تكون الأبواب المغلقة ليست على الترتيب بابًا فبابًا، بل تكون في جهات مختلفة كلها منافذ للمكان الذي كانا فيه، فاستبقا إلى باب يُخرَج منه، ولا يكون السابع على الترتيب، بل أحدها"(٤).

﴿وَقَدَّتۡ﴾: إيثار مفردة (القدّ) على غيرها مثل الشقّ والفتق والقطع ونحوه، فإن هذه المفردة تدلُّ على نوع خاصٍّ من القطع وهو ما كان القطع فيه طولاً،

(١) إرشاد العقل السليم/٤/٢٦٧

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل:٢/١٦.

(٣) التحرير والتنوير:١٢/٥٠.

(٤) تفسير البحر المحيط:٥/٢٤٦.

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "القاف والدال أصل صحيح يدل على قطع الشيء طولًا"(١)، قال أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ): " والقدّ: القطع والشق، وأكثر استعماله فيما كان طولاً"(٢)، ففي هذه المفردة تصوير للواقع من قوة هروب يوسف عليه السلام ومن محاولتها منعه، حيث تعلقت به فنتج عنه قطع طولي في القميص. قال أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): "وإسناد القدِّ إليها خاصَّةً مع أن لقوة يوسف عليه السلام – أيضاً – دخلًا فيه؛ إما لأنها الجزء الأخيرُ للعلَّة التامَّة، وإما للإيذان بمبالغتها في منعه عن الخروج، وبذلِ مجهودِها في ذلك لفَوْت المحبوب أو لخوف الافتضاح"(٣).

﴿دُبُرٍ﴾: إيثار مفردة (دبر) على غيرها مثل خلف ونحوه، ما يصوِّر واقع الحال واستصحابه من تأكيد الإدبار في فرار يوسف عليه السلام، فكان اختيارُ اللفظة مُشْعِرًا بحاله.

﴿وَأَلْفَيَا﴾: إيثار مفردة (الإلفاء) دون غيرها مثل الإيجاد ونحوها، لما تُشْعِرُ به هذه المفردة من المباغتة والمفاجأة، وعدم العلم بالشيء، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): " والإلفاء: وجدان شيء على حالةٍ خاصَّة من غير سعي

(١) مقاييس اللغة:مادة (قد):٥/٦.

(٢) تفسير البحر المحيط:٥/٢٤٦.

(٣) إرشاد العقل السليم:٤/٢٦٧.

لوجدانه، فالأكثر أن يكون مفاجئًا، أو حاصلًا عن جهل بأول حصول، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ البقرة: ١٧٠"(١).

﴿سَيِّدَهَا﴾: إيثار مفردة (السيد) على غيرها مثل الزوج أو البعل أو باسمه الصريح أو العزيز ونحوه، جاء على محاكاة عادة القبط في ذلك الوقت، وهو ما أجاب به ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) بقوله: "وإطلاق السيد على الزوج قيل: إن القرآن حكى به عادة القبط حينئذ، كانوا يدعون الزوج سيدًا. والظاهر أنه لم يكن ذلك مستعملًا في عادة العرب، فالتعبير به هنا من دقائق التاريخ... ولعل الزواج في مصر في ذلك العهد كان بطريق الملك غالبا"(٢). وجاءت صيغة المفردة بالمفرد المؤنث دون التثنية مع أن يوسف عليه السلام كان ملكًا للعزيز، فلم يقل: سيدهما؛ لما يشعر به أن ملكه ليوسف عليه السلام ليس صحيحًا أو ليست ملكية مطلقة بحيث يطلق عليها السيادة(٣). وتقول المرأة لبعلها سيدي، وإنما لم يقل سيدهما؛ لأن حقيقة يوسف عليه السلام أنه حُرٌّ ولم يكن مملوكًا(٤).

﴿لَدَا﴾: إيثار مفردة (لدى)(٥) دون غيرها مثل (عند) ونحوها، قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): لدى لغة في لَدُن، وفي لدن ثلاث لغات: لَدُن،

---

(١) التحرير والتنوير:١٢/٥٠.

(٢) المصدر السابق:١٢/٥٠.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم:٤/٢٦٧.

(٤) ينظر: التفسير الكبير:١٨/٢٥١٠.

(٥) جاء في سورة يوسف (لدا) وفي سورة غافر (لدى) ذكر الداني في اختلاف الرسم بينهما علة النحاة فقال " وقال النحويون المرسوم بالألف على اللفظ والمرسوم بالياء لانقلاب الألف ياءً

ولَدَى، ولَدُ، ولَدُن: الموضعُ الذي هو الغاية، وهو ظرف غير مُتمكِّن بمنزلة عند[1]. وأضاف الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): لدى يقارب لدن، "ولدن أخص من (عند)؛ لأنه على ابتداء نهاية، نحو: أقمتُ عندَهُ من لدُن طلوع الشمس إلى غروبها، فيوضعُ لدُن موضع نهاية الفِعل، وقد يوضعُ موضِعَ (عند)... قال بعضهم: لدن أبلغ من عند وأخصُّ"[2]. فاختيار مفردة (لدى) دون (عند) لما فيها من البلوغ والقرب ما ليس في (عند)، وإن اشتركا في المعنى[3]. ويبين ذلك ما فسر به الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) قوله تعالى ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ غافر: ١٨بقوله: " أن قلوبهم يومئذ ترتفع من أماكنها في الصدور، حتى تلتصق بالحلوق، فتكون لدى الحناجر، فلا هي تخرج من أفواههم فيموتوا، ولا هي ترجع إلى أماكنها في الصدور فيتنفسوا، وهذا القول هو ظاهر القرآن"[4]. فالتعبير بـ (لدى) دلالة على ملاصقتها للحناجر، بخلاف (عند).

مع الإضافة إلى المكنّى كما رسم " على " و " إلى " كذلك".المقنع:٧١. وذكر سليمان بن نجاح علة كتابية هجائية:"للفرق- أيضًا - بينها وبين اسم الإشارة الذي دخلت عليه لام التوكيد".مختصر التبيين لهجاء التنزيل:٢/٧٦.

(١) ينظر: الصحاح: مادة (لدن) ومادة (لدى):٩٤٣-٩٤٤.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن:مادة (لدن) ومادة(لدى):٧٣٩، وينظر: مغني اللبيب:٢٠٨.

(٣) ينظر:إعراب القرآن وبيانه لدرويش:٤/٤٧٧.

(٤) أضواء البيان:٦/٣٨١.

وعليه فإن إتيان لفظ ﴿لَدَا﴾ بعد قوله ﴿وَأَلْفَيَا﴾: فيه بيان للوضع الذي وجد العزيزُ يوسف عليه السلام وزَليخا وهما ملاصقان للباب وليسا بعيدين عنه، مما يدل على حرصها للوصول إليه قبل خروجه من الباب، وفيه دلالة على أن ملاصقتهما للباب، ألبست على العزيز بيان الصادق منهما في دعواه، حتى احتاج للبينة.

﴿مَاجَزَآءُ﴾: إيثار (ما) على غيرها مثل (أي) ونحوه، قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): "أي: اسم معربٌ يستفهم به ويجازى، فيمن يعقل وفيما لا يعقل"(١)، وأما (ما) في هذا الموضع فتصح أن تكون استفهامية، بمعنى: أي جزاء يستحقه يوسف عليه السلام، ويحتمل أن تكون (ما) نافية، بمعنى: ليس له جزاء إلا أن يُسجن(٢). وفي دلالة اختيار (ما) في هذا الموضع ما يدل على أن زَليخا أرادت كِلا المعنيين فأيهما سبق إلى ذهن زوجها فهو مراد، فإما أن تقرر في نفسه عن طريق السؤال المفروض عليه بأن يجيب ويقر بداخله أن يوسف عليه السلام يستحق ما اقترحته زَليخا، أو أن يكون على المعنى الثاني لـ (ما) النافية، بتأكيد ما أرادته من العقاب كأنه لا يوجد مقترح آخر يناسب الجرم الذي اقترفه يوسف عليه السلام في ادعائها، وهذا فيه من الإعجاز ما هو ظاهر. وفيه أيضًا ما تحمله (ما) من العموم، والتخويف، فليس هذا خاصًّا بيوسف عليه السلام بل بكل من سولت له نفسه إلحاق الضرر بأهلك، قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "قَصَدَتْ

(١) الصحاح:مادة (أي):٦٨.

(٢) إعراب القرآن وبيانه:٤/٤٧٤، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل:٢/١٦.

العموم وأنَّ كلَّ من أراد بأهلك سوءًا فحقه أن يُسجن أو يُعذب؛ لأن ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف عليه السلام"(١). و هكذا تتّهم، وتَحكُم في التهمة، فلا تدع لزوجها فرصة للتفكير فيما ينبغي أن يواجه به هذا الموقف، فها هو ذا الحلّ حاضر بين يديه، لا يحتاج منه إلى تفكير! .

﴿مَنۡ﴾: إيثار اسم الموصول (من) دون التصريح باسم (يوسف) عليه السلام، قال ابن عادل (ت: بعد٨٨٠هـ): " و " مَنْ " يجوز أن تكون موصولة، أو نكرة موصوفة"(٢)، فلم تعينه لأمر في نفسها ما جزاؤه إلا أن يسجن لتقتصَّ من رجل أهان كبرياءها ومنعها من تنفيذ مؤامرتها الدنيئة لتريَه أن في يدها إعزازه وإهانته(٣). وقد يكون فيه ما لو صرَّحت باسم (يوسف) عليه السلام كان لوقع هذا الاسم في نفس العزيز ما يحن ويرق ليوسف عليه السلام، فأرادت العموم دون ذكره. قلت: ويحتمل أن تكون أرادت إبعاد يوسف عن الحدث بعدم ذكر اسمه حتى لا تثيره فيدافع عن نفسه، فأرادت سكوته ولذا جاءت بـ (من).

﴿أَرَادَ﴾: إيثار مفردة (الإرادة) وكونها جاءت على صيغة الفعل الماضي، إشارة إلى أن الأمر لم يجاوز حدّ الرغبة والإرادة(٤)، وجاء الفعل ماضٍ دون المضارع (يريد) للدلالة على تحقق الوقوع، قال أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): "ثم

---

(١) الكشاف:٢/٤٥٩.

(٢) اللباب في علوم الكتاب:١١/٧١.

(٣) ينظر: التفسير الواضح:٢/١٧٢.

(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب:٢/٤١٢.

إنها جعلت صدور الإرادة المذكورة عن يوسف عليه السلام أمرًا محققًا مفروغًا منه غنيًّا عن الإخبار بوقوعه"(١).

﴿بِأَهۡلِكَ﴾ إيثار مفردة (الأهل) دون غيرها مثل (بي)؛ لتضيف نفسها إلى العزيز، فتثير عاطفته فتهيج ويتأثر نحوها، فينساق لقولها، في حين أنها تغريه بهذا الذي اعتدى على العزيز في أهله!(٢).

﴿سُوٓءًا﴾: إيثار مفردة (السوء) على غيرها مثل الزنا ونحوها، أرادت زَليخا أن تبعد العزيز عن تصور الزنا واتهامها به فعبرت بالسوء دفعًا لتهمتها، وهو ما يُشعر به قول ابن جرير (ت: ٣١٠هـ): " ولطخت مكانها بالسيئة، فَرَقًا من أن يتهمها صاحبُها على القبيح"(٣).

﴿يُسۡجَنَ﴾: إيثار مفردة (السجن) دون غيرها من المحتملات مثل القتل، ومجيئه على صيغة المضارع، التي تدل على عدم الثبوت والتحقق، قال الرازي (ت: ٦٠٦هـ): "أنها لم تذكر أن يوسف عليه السلام يجب أن يعامل بأحد هذين الأمرين بل ذكرت ذلك ذكرًا كليًا صونًا للمحبوب عن الذكر بالسوء والألم، وأيضًا قالت إلا أَن يُسْجَنَ والمراد أن يسجن يومًا أو أقل على سبيل التخفيف، فأما الحبس الدائم فإنه لا يعبر بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال حين تهدد موسى عليه السلام في قوله ﴿لَئِنِ

(١) إرشاد العقل السليم:٤/٢٦٨.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن:٢/٤١٢.

(٣) جامع البيان:١٦/٥٢.

﴿ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ الشعراء: ٢٩"(١). وفي مخالفة التعبير بين ﴿أَنۡ يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ﴾ دون أن تقول: إلا السجن أو عذاب ما يدل على تسلط معنى الفعل عليه؛ لأن لفظ السجن يطلق على البيت الذي يوضع فيه المسجون، ويطلق على مصدر سجن(٢). وإن كان قوله ﴿أَنۡ يُسۡجَنَ﴾ بهذا التركيب بقوة المصدر ولذا عطف عليه المصدر بقوله ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

﴿هِيَ﴾: إيثار مفردة اسم الإشارة (هي) دون غيرها مثل هذه، وتلك ونحوها، لفرط حيائه وهو أدبٌ حسنٌ حيث أتى بلفظ الغيبة دون الحضور، قال أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ): " قال: هي، وأتى بضمير الغيبة، إذ كان غلب عليه الحياء أن يشير إليها ويعينها بالإشارة فيقول: هذه راودتني، أو تلك راودتني؛ لأن في المواجهة بالقبيح ما ليس في الغيبة"(٤).

قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ يوسف: ٢٦

﴿وَشَهِدَ﴾: إيثار مفردة (الشهادة) دون غيرها مثل حَكَمَ ونحوه، فَلِمَا يستدعيه المقام في مثل هذا الموقف بين مُدَّعٍ ومُنكر، وما يحتاج فيه إلى شهادة

(١) التفسير الكبير:١٨/٩٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٥٧.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب:١١/٧١.

(٤) تفسير البحر المحيط:٥/٢٩٧.

تبين الحقيقة، "فسمى القرآن الكريم ذلك الحكم بينهما شهادة؛ لأن قوله هذا يساعد على الوصول إلى الحق في قضية التبس فيها الأمر على العزيز"(١).

﴿قُبُلٍ﴾: إيثار مفردة (قبل) دون غيرها مثل (أمام)، لما يظهر من المقابلة في (دبر) الواردة في الدليل العقلي المنطقي الذي استدل به الشاهد، ولما يُشعِر به اللفظُ من الإقبال على الحدث الذي اتهم به يوسف عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ يوسف: ٢٨

﴿إِنَّهُۥ﴾: إيثار الإشارة بالضمير الغائب دون غيره مثل (ذلك)، فالعزيز جاء بالضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ يريد مقالها المتقدم في الشكوى من يوسف عليه السلام(٢)، وفي الضمير من عدم المجابهة والإبهام لإبعاد التهمة عن امرأته، ما ليس في (ذلك)، الدال على المجابهة، وقيل: بأن العزيز كان حليماً، وقيل: بأنه كان قليل الغيرة(٣).

* * *

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم:٣٤٦/٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية:٢٤٧/٣.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري:٤٣٦/٢.

﴿ كَيۡدِكُنَّ ﴾: إيثار مفردة (الكيد) والإتيان بها بجمع النسوة، دليل على أنه لم يواجهها بالتهمة في شخصها، بل واجهها بالخطاب لها ولبنات جنسها(١)، والكيد: فعل شيء في صورة غير المقصودة للتوصل إلى مقصود(٢).

قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾ يوسف: ٢٩

﴿ يُوسُفُ ﴾: إيثار الإتيان باسم يوسف عليه السلام صريحًا دون غيره مثل: (وأنت)، ما يشعر بالقرب والتلطف والتأنيس، وكذا الأصل في يوسف أنه منادى حذف منه حرف النداء؛ لبيان قربه(٣)، فالتصريح باسمه وحذف حرف النداء يُشعران بالقرب والملاطفة، وإن اختلف في المقصد من هذه الملاطفة، هل هي محبة ليوسف عليه السلام ومراعاة لاتخاذه ولدًا، أم ليكتم يوسف عليه الفضيحة التي اقترفتها زوجته.

﴿ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾: إيثار مفردة (الخاطئين) بالتذكير على غير أصلها الموجه لامرأته بالخاطئة أو إشراكها في الخاطئات، قال ابن عاشور (١٣٩٤هـ): "الخاطئ: فاعل الخطيئة، وهي الجريمة. وجعلها من زمرة الذين خطئوا تخفيفًا في مؤاخذتها. وصيغة جمع المذكر تغليب"(٤)، فلم يرد أن تكون الخطيئة مقصورة

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن:٢/٤١٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٥٢.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٩/١٧٥، والتسهيل لعلوم التنزيل:٢/١٧.

(٤) التحرير والتنوير:١٢/٥٢.

على النساء وحدهن؛ بل والرجال يشاركون في ذلك وفي هذا تخفيف لها، وقد يكون قصد بهذا التخفيف تهوين الاستغفار لذنبها، لتنوع من يقترف مثل هذا من الرجال والنساء(١).

ويقال لمن قصد الذنب خَطِيءَ، ولمن لم يقصده أخطأ، فدل بقوله ﴿وَٱسْتَغْفِرِى﴾ أنها تعمدت الذنب(٢).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يوسف: ٣٠

﴿وَقَالَ﴾: إيثار مفردة (قال) على (قالت) مع جواز الإتيان بها؛ لأن تأنيث نسوة غير حقيقي باعتبار الجماعة؛ ولذلك لم تلحقه تاء التأنيث، وقد يشعر (قال) بصورة القلة في النسوة بأن القول كأنه صادر من واحد(٣).

﴿نِسْوَةٌ﴾: إيثار مفردة (النسوة) دون غيرها مثل (نساء)، جمع تكسير للقلة على فِعْله، وليس لها واحد من لفظها، وتأنيثها غير حقيقي باعتبار الجماعة، ولذلك لم يلحق فعلها (قال) تاء التأنيث، والمشهور كسر نونها، ويجوز ضمها في لغة، ويكسر في الكثرة على نسوان، والنساء جمع كثرة ولا واحد له من لفظه(٤).

---

(١) تفسير القرآن للقرآن:٢/٤١٥.

(٢) ينظر:النكت والعيون للماوردي:٣/٢٩.

(٣) ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي:٦/٤٧٥.

(٤) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان:٥/٢٩٩، والدر المصون للسمين الحلبي:٦/٤٧٤-٤٧٥.

﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾: إيثار مفردة (المدينة) دون غيرها مثل مصر ونحوها، وإن كان المقصود بالمدينة هي مصر(١)، قال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "والجار والمجرور في موضع الصفة –لنسوة– على ما استظهره بعضهم، ووصفهن بذلك؛ لأن إغاظة كلامهن بهذا الاعتبار لاتصافهن بما يقوي جانب الصدق أكثر؛ فإن كلام البدويات لبعدهن عن مظان الاجتماع والاطلاع على حقيقة أحوال الحضريات القصريات لا يلتفت إلى كلامهن فلا يغيظ تلك الإغاظة، والكثير على اختيار تعلقه بـ (قال) ومعنى كون قولهن في المدينة إشاعته وإفشاؤه فيها، وتعقب بأن ذلك خلاف الظاهر"(٢)، قال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ): "يجوز تعلقه بمحذوف صفة لنسوة وهو الظاهر، وبـ (قال) وليس بظاهر"(٣)، وقد يتبادر إشكال في قول من يرى أنها لشيوع أمر امرأة العزيز وتعلقها بحب يوسف، مع ما جاء من جمع القلة في نسوة وتجرد فعلها من التاء في قال، كما قاله أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ) والآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) وغيرهما، فقد يكون هذا في بدايات الخبر حصر في خمس نسوة ثم ذاع وانتشر، حيث إن النساء أكثر الناس بحثًا عن أسرار البيوت، وأقدر على فتح المغلقات منها وتتبع مثل هذه الأمور ونشرها(٤).

---

(١) ينظر:المصدر السابق:٦/٤١٦.

(٢) روح المعاني:٦/٤١٦، وينظر: البحر المحيط لأبي حيان:٦/٢٦٤.

(٣) الدر المصون:٦/٤٧٥.

(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن:١٢/١٢٦٦.

وأما البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) فإنه يرى الجار والمجرور (في المدينة) قيد للإشاعة في المدينة فقال: "ولما كانت البلدة كلما عظمت كان أهلها أعقل وأقرب إلى الحكمة، قال (في المدينة) أي التي فيها امرأة العزيز ساكنة"(١).

﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾: إيثار مفردة امرأة وإضافتها للعزيز دون غيرها مثل التصريح باسمها أو التصريح باسم زوجها ونحوه؛ لأن المقام مقام تشهير وتهويل للحدث مع اللوم فناسب بيان منزلة هذه المرأة، قال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "إضافتهن لها إليه بهذا العنوان دون أن يصرحن باسمها أو اسمه ليظهر كونها من ذوات الأخطار فيكون عونًا على إشاعة الخبر بحكم أن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل، وقيل –وهو الأولى– إن ذاك لقصد المبالغة في لومها بقولهن ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾"(٢).

﴿تُرَٰوِدُ﴾: إيثار مفردة (المراودة) ومجيئها بصيغة المضارع دون الماضي (راودت)، لإفادة الاستمرار والإصرار وأن الأمر لا يزال في نفس المرأة ولن تتوقف، فلم يقلن(٣)، وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "ومجيء ﴿تُرَٰوِدُ﴾ بصيغة المضارع مع كون المراودة مضت لقصد استحضار الحالة العجيبة لقصد الإنكار عليها في أنفسهن ولومها على صنيعها"(٤).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٠/٧٠.

(٢) روح المعاني:٦/٤١٦.

(٣) ينظر: الدر المصون:٦/٤٧٥، وروح المعاني:٦/٤١٦.

(٤) التحرير والتنوير:١٢/٢٦١.

﴿فَتَىٰهَا﴾: إيثار مفردة (فتى) دون التصريح باسم يوسف عليه السلام ونحوه، مع إضافته له، ما جاء من أن جُلَّ الخَدَمَة شبان، وقيل: لأن زوجها وهبه لها فهو مملوكها بزعم النسوة، وتعبيرهن عن يوسف مضافًا إليها لا إلى العزيز لإبانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن الخادمية والمخدومية أو المالكية والمملوكية؛ وهو من المبالغة في اللوم؛ فإن من لا زوج لها من النساء أو لها زوج دنيء قد تُعذر في مراودة الأخدان لا سيما إذا كان فيهم علو الجناب، وأما التي لها زوج فمراودتها لغيره لا سيما لمن لم يكن بينهما كفاءة مع تماديها فهذا غاية الضلال(١)، وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "وإضافته إلى ضمير (امرأة العزيز) لأنه غلام زوجها فهو غلام لها بالتبع ما دامت زوجة لمالكه"(٢).

﴿شَغَفَهَا﴾: إيثار مفردة (الشغاف) دون غيرها، لما تحمله هذه المفردة من وصول الحب إلى حاجز وحصن أخير من حصون النفوذ إلى القلب وهو الشغاف، فحب يوسف وصل إلى شغاف قلبها، فدخل تحته حتى غلب على قلبها، وشغاف القلب: حجابه وغلافه الذي هو فيه(٣). وأما البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) فيرى "أن حبه صار شغافًا لها، أي حجابًا، أي ظرفًا محيطًا بها"(٤). وهذا المعنى من البقاعي يسنده خروج السياق عن أصله وهو (قد شفها حبه) وجاء بالتمييز للنسبة (حبًّا) كما سأبينه في مفردة (حبًّا).

---

(١) ينظر: روح المعاني:٦/٤١٦.

(٢) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٠.

(٣) ينظر:جامع البيان:١٣/١١٥.

(٤) نظم الدرر:١٠/٧١.

﴿حُبًّا﴾: إيثار اللفظ هنا (حُبًّا) دون الأصل وهو: شغفها حبه، فهو محول عن الفاعل، فالضمير المستتر في ﴿شَغَفَهَا﴾راجع إلى ﴿فَتَىٰهَا﴾ فلما كان فيه إجمالًا جيء بالتمييز للنسبة فقال ﴿حُبًّا﴾وفيه كناية عن تمكين حبه في قلبها(١).

﴿لَنَرَىٰهَا﴾: إيثار مفردة (الرؤية) دون غيرها مثل العلم، وإن كان معنى الرؤية العلم، "فالرؤية قلبية واستعمالها بمعنى العلم حقيقة كاستعمالها بمعنى الإحساس بالبصر، وإذا أريد منها البصرية ثم تجوز بها عن العلمية كان أبلغ في إفادة كونها فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال"(٢). والتأكيد باللام في ﴿لَنَرَىٰهَا﴾إنما يقصدن به تحقيق اعتقادهن ذلك، ودفع تهمة الحسد عنهن، من كون هذا الفتى الجميل عند امرأة العزيز، والالتفات منهن إلى أن بيان سبب مقولتهن أنها في الضلال، وهو ما جعلهن يبادرن بهذا القول(٣). وفي إسنادهن الفعل لأنفسهن تحريض لامرأة العزيز أن تزيل اللبس الذي عندهن فهن المقدمات بأن تبادر بإحضارهن لرؤية يوسف عليه السلام، وهو ما شعرت به امرأة العزيز ولذا سُمي قولهن (مكرًا) كما سيأتي في قوله ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ يوسف: ٣١.

---

(١) ينظر: روح المعاني:٦/٤١٧، والتحرير والتنوير:١٢/٢٦٠.

(٢) روح المعاني:٦/٤١٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٦١.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف: ٣١

﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾: إيثار مفردة (المكر) دون غيرها كالقول أو الحديث أو الغيبة، هو ما أشرنا إليه سابقًا وهو ما فهمته امرأة العزيز، والنساء أعلم ببعضهن، قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "بمكرهن: باغتيابهن وسوء قالتهن، وقولهن: امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومَقَتَها، وسمي الاغتياب مكرًا؛ لأنه في خفية وحال غيبة، كما يخفي الماكر مكره"(١)، فهن طلبن بذلك رؤية يوسف عليه السلام؛ لأنه قد وصف لهن حسنه وجماله فتعلقن به وأحببن أن يرينه(٢)، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "ويجوز أن يكون أطلق على قولهن اسم المكر؛ لأنهن قلنه في صورة الإنكار وهن يُضمرن حَسَدها على اقتناء مثله، إذ يجوز أن يكون الشغف بالعبد في عادتهم غير منكر"(٣).

﴿إِلَيْهِنَّ﴾: إيثار حرف الجر (إلى) دون غيره مثل اللام، فلم يقل ﷻ (لهن)؛ فحرف الجر (إلى) من معانية انتهاء الغاية في الزمان والمكان، وغيرهما وهو أصل معانيها(٤)، وفي التعدية بحرف الجر (إلى) ما يفيد ببلوغ الرسالة والحرص على

---

(١) الكشاف:٢/٤٤٥.

(٢) ينظر: حاشية الصاوي على الجلالين:٢/٣٦٨.

(٣) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٢.

(٤) ينظر: الجنى الداني:٣٨٥.

وصولها؛ لما ترغبه امرأة العزيز من حضور المتحدثات بعرضها وما أعدته لهن من كيد.

﴿وَأَعْتَدَتْ﴾: إيثار مفردة (أعتدت) دون أعدت، أو هيئت، فقوله ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾: أصله: أعددت، أبدلت الدال الأولى تاء(١)، ومعناها: أعدَّت(٢)، فمن جهة المعنى فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى؛ مما يدل على أن (أعتدت) فيه زيادة ومبالغة في التكلُّف لما ستقدمه لهن؛ ليكون الجو كاملًا في المنظر والصورة لتقابل مكرهن بمكرها مما رتبته حتى قطعن أيديهن.

ومن جهة أخرى وهي اللفظ، فالإتيان بالتاء فيه من الخفة والهمس المناسب للمقام من الخفاء والرغد والاستمتاع، وللقائل كونها من النساء وما عرفن به من الرقة، ما لا يكون في الدال من الجهر والشدة.

﴿مُتَّكَـًٔا﴾: إيثار مفردة (الاتكاء) دون غيرها مثل (مجلس)، المتكأ: هو محل الاتكاء، وهو جِلسة قريبة من الميل إلى أحد الشقين(٣)، ويطلق الاتكاء إذا أريد إطالة المكث والاستراحة(٤)، وهذا فيه ما يشعر أن امرأة العزيز تريد تهيئتهن للاسترخاء التام والمناسب لاستقبالهن رؤية يوسف عليه السلام؛ فأحضرت لهن نمارق يتكئن عليها لتناول الطعام، ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) أنه

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٦٢.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب:١١/٨٠.

(٣) ينظر: روح المعاني:٦/٤١٨.

(٤) ينظر:التحرير والتنوير:١٢/٢٦٢.

وصف لما كانوا عليه قديمًا في طريقة أكلهم فقال: "وكان أهل الترف يأكلون متكئين كما كانت عادةً للرومان، ولم تزل أسرة اتكائهم موجودة في ديار الآثار"(١)، وجاء عن ابن عباس قوله: المتكأ مجلس الطعام.(٢)

وقيل المراد بالمتكأ: الطعام يجز جزًّا؛ لأنه طعام يحتاج إلى أن يقطع بالسكين؛ لأنه إذا كان كذلك احتاج الإنسان إلى أن يتكئ عليها عند القطع(٣). وقيل: وهو من قولك: اتكأنا عند فلان، طعمنا على سبيل الكناية؛ لأن من دعوته ليطعم اتخذت له تكأة يتكئ عليها(٤).

والذي يظهر سواء كان القول مجازًا(٥) أو كناية، أن هذا اللفظ مشعر بالترف والراحة والفخامة وصنوف الملذات من المآكل والمشارب، ما ليس في غيره.

﴿وَءَاتَتۡ﴾: إيثار مفردة (الإيتاء) دون غيرها مثل (الإعطاء)، فآتت: أي أعطت كل واحدة منهن سكينًا، فأمرت خدمها بالإتيان(٦)، فعبر بأنها هي من باشرت الإتيان زيادة في الحرص من أن تجعل في يد كل امرأة من الزائرات سكينًا، وهو ما يفهم من قوله ﴿كُلَّ﴾وأما ما يلتمس من إيثار مفردة (الإيتاء)

---

(١) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٢.

(٢) ينظر: روح المعاني:٦/٤١٨.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب:١١/٨١.

(٤) ينظر: الكشاف:٢/٤٦٣.

(٥) ينظر:روح المعاني:٦/٤١٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٦٢.

على (الإعطاء) فما يدل عليه لفظ الإيتاء من قوة ليست في لفظ الإعطاء، وذلك في إثبات مفعوله؛ لأن الإعطاء له مطاوعٌ، تقول: أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإيتاء: آتاني فأتَيْتُ، وإنما يقال: آتاني فأخذت، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له، فالمطاوع له يدل على أن فعل الفاعل كان موقوفًا على قبول في المحل، لولاه ما ثبت المفعول، بخلاف ما لا مطاوع له فلا يصح: قتلته فانقتل(١). وهو ما يشعر بالإلزام لهن بأخذ سكينًا تكون بأيديهن، وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع أيديهن لتبكتهن بالحُجَّة، أو التهويل على يوسف عليه السلام من مكرها إذا خرج على أربعين من النسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبن عليه فيكون خائفًا من مكرها فيجيبها فيما بعد لما تتطلبه(٢).

﴿ٱخۡرُجۡ﴾: إيثار مفردة (الخروج) دون غيرها مثل (الدخول) في هذا الموطن، امرأة العزيز تحينت الفرصة المناسبة لحال النسوة من الانشغال بالتقطيع، فأمرته بالخروج إما ليرينه فيحصل مرادها، أو يخرج عليهن للخدمة أو للسلام، فبرز لهن ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ﴾عطف على مقدر يستدعيه الأمر بالخروج وانسحب عليه الكلام أي فخرج عليهن فرأينه، وإنما حذف المقدر تحقيقًا لمفاجأة رؤيتهن فخشي فواتها، وكذا فيه تصوير للمكان الذي كن يجلسن فيه وأنه كان خارج الدور في الحديقة والفناء، ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) أن اللفظ

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٤/٧٤، والإتقان في علوم القرآن:٤/١٣٠٨.

(٢) ينظر: روح المعاني:٦/٤١٩.

﴿ٱخۡرُجۡ﴾"يقتضي أنه كان في بيت آخر، وكان لا يدخل عليها إلا بإذنها"(١)، وصيغة الأمر هنا مشعرة بأن امرأة العزيز بدأت تتعامل مع يوسف عليه السلام بحدَّة وقوة، فقد كانت قبلُ تلاينه الحديث كما في قولها ﴿هَيۡتَ لَكَ﴾.

﴿عَلَيۡهِنَّ﴾: إيثار حرف الجر (على) دون غيره مثل (لهن)، فتعديت فعل الخروج بـ (على)؛"لأنه ضمن معنى (أُدخل)؛ لأن المقصود دخوله عليهن لا مجرد خروجه من البيت الذي هو فيه"(٢). وعندي أن هذا الحرف (على) هو للاستعلاء حسًّا أو معنى(٣)، فكون امرأة العزيز تريد يوسف عليه السلام أن يخرج ليرينه، ليس لمجرد الرؤية فقط، وإنما خروج فيه استعلاء وتحكم ونفوذ لا يمكنهن الثبات أمامه، بل يكنَّ صاغرات منقادات لجماله الأخاذ.

﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾: إيثار مفردة (أكبرنه) على غيرها مثل (عَظَّمَنَّه) ونحوها، ﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾: أي أعظمنه، والهمزة فيه للعد، أي أعددنه كبيرًا(٤)، ويُشعِرُ لفظ ﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾بالهيبة فاستهولْنَ جمال الصورة التي رأين يوسفَ عليه السلام فيها(٥)، قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "أعظمنه وهِبن ذلك الحسن الرائع والجمال

---

(١) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٢.

(٢) المصدر السابق:١٢/٢٦٢.

(٣) ولم يثبت لها أكثر البصريين غير هذا المعنى وتأولوا ما أوهم خلافه، وذكر لها ابن مالك ثمانية معان. ينظر: الجنى الداني:٤٧٦.

(٤) ينظر:التحرير والتنوير:١٢/٢٦٢.

(٥) ينظر:المحرر الوجيز:٣/٢٣٩.

الفائق"[1]. ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) أن إطلاق الكبر على عظيم الصفات تشبيهًا لوفرة الصفات بعظم الذات[2].

وقال بعض المفسرين بأن (أكبرنه) أي: حِضْنَ، وأنكر أكثر أهل اللغة هذا المعنى، وعد ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) هذا القول ضعيفًا ومعناه منكر، والبيت الذي استُشهد به مصنوع مختلق، وهو قول ابن جرير الطبري[3] (ت: ٣١٠هـ) والزجاج[4] (ت: ٣١١هـ) وغيرهما من المحققين[5]، وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "وقيل: أكبرن بمعنى حضن، والهاء للسكت، يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقته: دخلت في الكبر؛ لأنها بالحيض تخرج من حدِّ الصغر إلى حدِّ الكبر... "[6].

﴿وَقَطَّعْنَ﴾: إيثار مفردة (القطع) على غيرها مثل (الجرح) في هذا الموضع، المراد بـ (قطعن) أي: جرحنها، كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي، تريد جرحتها[7]، وتقطيع أيديهن كان من ذهولهن، فأجرين السكاكين على أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الطعام، فجرحن أيديهن، "أطلق عليه القطع مجازًا

---

(١) الكشاف:٢/٤٦٤.

(٢) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٢.

(٣) ينظر:جامع البيان:١٣/١٣٢.

(٤) ينظر:معاني القرآن وإعرابه:٣/١٠٦.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز:٣/٢٣٩.

(٦) الكشاف:٢/٤٤٧.

(٧) ينظر: المصدر السابق:٢/٤٤٧.

للمبالغة في شدته حتى كأنه قَطع قطعة من لحم اليد"[1]. وأما ما تدل عليه صيغة التشديد في ﴿وَقَطَّعْنَ﴾بدل التخفيف (قَطَعن) فَلِمَا يدل التضعيف عليه من التكثير إما بالنسبة لكثرة القاطعات، وأما بالنسبة لتكثير الحَزِّ في يد كل واحدة منهن، فالجرح كأنه وقع مرارًا في اليد الواحدة وصاحبتها لا تشعر لما ذهلت بما راعها من جمال يوسف عليه السلام، فكأنها غابت عن حِسِّها[2].

﴿إِنْ﴾: إيثار النفي بحرف (إنْ) في قوله ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾دون غيره مثل (ما) النافية، ونحوه، طال تأملي لمحاولة إيجاد فرق بين حرفي النفي (إنْ) و (ما) وتتبعت كتب التفسير واللغة والمعاني ورأيتهم لا يفرقون بينها، وإنما يبينون (إنْ) النافية بقولهم: هي بمعنى (ما) النافية[3]، إلا أن ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) –رحمه الله– في سورة الأحقاف أشار لقلة استعمالها في النفي مقابلة لـ (ما) النافية في الاستعمال القرآني، وتلمس سبب الإتيان بـ (إنْ) في الأحقاف بدل (ما) وذلك للتكرار في توالي الأمثال، ففي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ الأحقاف: ٢٦قال: " ومن بديع النظم أن جاء النفي هنا بحرف ﴿إِنْ﴾النافية مع أن النفي بها أقل استعمالًا من النفي بـ"ما" النافية قصدًا هنا لدفع الكراهة من توالي مثلين في النطق، وهما (ما) الموصولة و (ما) النافية؛ وإن

(١) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط:٦/٢٦٩.

(٣) ينظر: روح المعاني:٦/٤٢٢، والجنى الداني:٢٠٩.

كان معناهما مختلفًا... "[1]. وأستطيع أن أقول بأن ﴿إِنْ﴾النافية –هنا– في سورة يوسف، بمعنى (ما) النافية، وإنما كان النظم القرآني أدق في التنويع بين حرفي النفي، وهذا الذي اقتضاه المقام؛ فبعد أن نفين النسوة عن يوسف عليه السلام البشرية بـ (ما) النافية في قوله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾جاء إثبات الملكية بتصدير النفي بـ (إن) ثم الاستثناء بـ (إلا) بطريق القصر، في قوله تعالى ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فجاء التنويع بين حرفي النفي.

﴿مَلَكٌ﴾: الإتيان بمفردة (ملك) في وصف يوسف عليه السلام من قبل النسوة، فيه تزكية منهن ليوسف عليه السلام، فالمشهور عند الجمهور أن الملائكة مُطَهَّرون عن بواعث الشهوة، وحوادث الغضب، ونوازع الوهم والخيال، فالنسوة لما رأين يوسف عليه السلام لم يلتفت لهن، وهذا مشعر بأنه كان مطرق بصره إلى الأرض، ثم رأين عليه هيبة النبوة والرسالة، وسما الطهارة، قلن: ما رأينا فيه أثرًا من شهوة، ولا صفة من الإنسانية، ودخل في الملائكية[2]. وفيه إثبات الحسن العظيم ليوسف عليه السلام؛ لأن الله تعالى ركَّب في الطبائع أن لا حيَّ أحسن من الملك، وما قبح فإنه يمثل في الشيطان، كما قال تعالى ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الصافات: ٦٥[3].

---

(١) التحرير والتنوير:٢٦/٥٢.

(٢) ينظر:التفسير الكبير:١٨/١٠٣، واللباب في علوم الكتاب:١١/٩٢.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب:١١/٩١، وروح المعاني:٦/٤٢٢.

﴿كَرِيمٌ﴾: إيثار مفردة (كريم) دون غيرها مثل عظيم ونحوه، فبالنظر إلى كون كريم صفة للمَلك، فوصفُهنَّ بـ﴿مَلَكٌ﴾ كان وصفًا للظاهر، و ﴿كَرِيمٌ﴾ وصفًا للباطن، قال الرازي (ت: ٦٠٦هـ): "... وصفوه بكونه كريمًا وإنما يكون كريمًا بسبب الأخلاق الباطنة لا بسبب الخلقة الظاهرة"(١). ويرى بعضُهم أن كريم ليست وصفًا للملك، وإنما المراد إن هذا الملك كريم على الله(٢).

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ يوسف: ٣٢

﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾: إيثار اسم الإشارة (ذلك) دون غيره (هذا)، فالنسوة أشرن ليوسف عليه السلام باسم الإشارة القريب (هذا)، وإنما أشارت امرأة العزيز بالبعيد (ذلك)، بُعْدًا مكانيًّا أو زمانيًّا، وشبه به البعد في الرتبة، ففيه بيان أن تَعَلُّقَ زَليخا بيوسف عليه السلام أشد من تعلق النسوة، قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ): "لما قالتِ النسوة في حقه ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾فأشرن إليه إشارة القريب؛ لأنه لم يعلُ عندهن في الرتبة كما علت رتبته عند زليخا، وزليخا، لما علتْ رُتْبَتُه عندها وعظم لديها، أشارت إليه بذلك: إشارة البعد المفرط، فقالت: ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾"(٣). وقد يكون – أيضًا – بأنها قالت هذا القول بعد ذهاب يوسف عليه السلام من مجلس النسوة فأشارت له بالبعيد والغيبة، كما قال الفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ): "... قوله (هذا) و (ذلك) يصلحان في كل كلام إذا ذكر ثم أتبعته

(١) التفسير الكبير:١٨/١٠٣.

(٢) ينظر: لباب التنزيل:٣/١٨.

(٣) فوائد في مشكل القرآن:٦٤.

بأحدهما بالإخبار عنه...، فصار كالحاضر الذي تشير إليه، وصلحت فيه (ذلك) لانقضائه، والمنقضي كالغائب، ولو كان شيئًا قائمًا يُرى لم يَجُزْ مكان (ذلك) (هذا)، ولا مكان (هذا) (ذلك)... "[1]. وعلى هذا المعنى وجَّهه ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) بقوله: "ويجوز أن تكون الإشارة إلى حُبِّ يوسف، والضمير عائد إلى الحب، فيكون ذلك إشارة إلى غائب على بابه"[2]. وذكر أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ) احتمالًا لتعبيرها بالبعيد، فقال: "ويحتمل أن تكون أشارت إليه وهو للبعد قريب بلفظ البعيد رفعًا لمنزلته في الحسن، واستبعادًا لمحله فيه، وأنه لغرابته بعيد أن يوجد منه. واسم الإشارة تضمن الأوصاف السابقة فيه"[3].

﴿ٱلَّذِى﴾: إيثار الموصول (الذي) دون غيره مثل التصريح باسمه (يوسف) عليه السلام ونحوه، الموصول —هنا– صفة اسم الإشارة أي فهو ذلكن العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن، فلم تعرفن عنه غير هذه الصورة التي تخيلتن يوسف عليه السلام عليها، فلم تنزلنه حق منزلته مما جعلكن تلمنني على الافتتان به، وقلتن فيَّ وفيه ما قلتن[4]، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "والتعبير عنه بالموصولية لعدم علم النسوة بشيء من مُعرفاته غير تلك الصلة"[5].

---

(١) معاني القرآن:٢/١٠-١١.

(٢) المحرر الوجيز:٣/٢٤١.

(٣) البحر المحيط:٦/٢٧٢.

(٤) ينظر: الكشاف:٢/٤٤٩، وروح المعاني:٦/٣٢٣.

(٥) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٤.

﴿لُمْتُنَّنِي﴾: إيثار مفردة (لمتنني) على غيرها مثل (راودته) ونحوه، فـ (لمتنني) صلة الذي، أي: عيرتنني في الافتتان فيه، والذي يظهر من اللفظ أنها قصدت الرد على النسوة بما قلن من أنها فُتنت بعبدها، وأرادت أن توجه اللوم إليهن بعدما رأت من قيام عذرها عندهن، وأنها مجبرة ولا تلام بحب يوسف عليه السلام، كما ظهر تعلق النسوة بيوسف عليه السلام بعد رؤيته، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "فباحت لهن بأنها راودته؛ لأنها رأت منهن الافتتان به فعلمت أنهن قد عذرنها"(١)، بخلاف لو لم تنف عنها اللوم واكتفت بالإقرار بالمراودة، لعظم ذلك منها.

﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾: إيثار مفردة (العصمة) دون غيرها مثل (امتنع) ونحوه، استعصم: مبالغة في عصم نفسه، فالسين والتاء للمبالغة، فامتنع امتناع معصوم، جاعلًا المراودة خطيئة عصم نفسه منها(٢). قال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ): "فردَّ السين إلى بابها من الطلب وهو معنى حسن، ولذلك قال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ)(٣): طلب العصمة واستمسك بها وعصاني"(٤).

ويرى أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ) بأن الذي ذكره الصَّرفيون في (استعصم) أنه موافق (لاعتصم)، فاستفعل موافق لافتعل، فالمعنى: فامتنع عما أرادت منه؛

---

(١) المصدر السابق:١٢/٢٦٤.

(٢) ينظر: الكشاف:٢/٤٤٩، والمحرر الوجيز:٣/٢٤١، وروح المعاني:٦/٤٢٣، والتحرير والتنوير:١٢/٢٦٤.

(٣) المحرر الوجيز:٣/٢٤١.

(٤) الدر المصون:٦/٤٩١.

وبالامتناع فسرت العصمة على إرادة الطلب؛ لأنه هو معناها في اللغة، قال: "وهذا أجود من جعل استفعل فيه للطلب؛ لأن اعتصم يدل على وجود اعتصامه، وطلب العصمة لا يدل على حصولها"(١).

قلت: وما ذكره الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) وغيره موافق ومصور لما قالت امرأة العزيز للنسوة، بأنه اجتهد في الامتناع مع المحاولة والإغراء، وأنه ليس من السهل إغواؤه، فإنه ما يزال يستزيد من العصمة، قال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "وعنت بذلك فراره عليه السلام منها فإنه امتنع منها أولًا بالمقال ثم لما لم يفده طلب ما يمنعه منها بالفرار، وليس المراد بالعصمة ما أودعه الله تعالى في بعض أنبيائه عليهم السلام مما يمنع عن الميل للمعاصي إنه معنى عرفي لم يكن قبل بل لو كان لم يكن مرادًا كما لا يخفى"(٢). وهذا على ما جرى على لسانها. وما قاله أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ) – أيضًا – قوي في كون يوسف عليه السلام تحقق فيه الاعتصام.

قلت: وعلى كِلا القولين فإن يوسف عليه السلام اعتصم وسيستزيد في طلب العصمة من الوقوع في الرذيلة.

﴿وَلَئِن﴾: إيثار الحرف (إن) دون غيرها مثل (إذا) أو (لو) ونحوها، الأصل عدم جزم وقطع المتكلم بوقوع الشَّرط في المستقبل مع (إن) ومن ثم كثر أن تستعمل (إن) في الأحوال التي يندُر وقوعها ووجب أن يتلوها لفظ (المضارع)

---

(١) البحر المحيط:٦/٢٧٢.

(٢) روح المعاني:٦/٤٢٣.

لاحتمال الشك في وقوعه، ولذا: لا يقال إن طلعت الشمس أزرك: لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه، وإنما يقال إذا طلعت الشمس أزورك. بخلاف (إذا) فتُستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطعُ المتكلمُ بوقوعه في المستقبل – ومن أجل هذا لا تُستعمل (إذا) إلاّ في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها (الماضي) لدلالته على الوقوع والحصول قطعًا.(١) وهنا يظهر من استخدام امرأة العزيز للحرف (إن) دون (إذا) لما لمسته من يوسف عليه السلام من الامتناع وعدم موافقتها لمرادها ومراودتها، ولذا بينت أنها تملك القوة والتهديد والعلو ولكن الأمر بيده في الموافقة والانصياع أو الرفض، ولو استخدمت (إذا) لكان أمره محتوم ولن يتخلف، ولذا احتاجت مع (إن) للام الموطئة للقسم، فالتهديد والإصرار منها جلي ولو امتنع.

﴿يَفۡعَلۡ﴾: إيثار مفردة (يفعل) دون غيرها مثل (يعمل) ونحوها، فقد تأملت الفروق بين الفعل والعمل، في هذه المفردة وفق سياق القصة، ووجدته يتعلق بثلاثة فروق:

أولها: أن الفعل أقوى من العلم، فالعمل هو أثر في الشيء بعد إيجاده، والفعل هو إيجاد الشيء، قال أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ): "والفرق بين الفعل والعمل: أن العمل إيجاد الأثر في الشيء. يقال: فلان يعمل الطين خزفا، ويعمل الخوص زنبيلا، والأديم سقاء. ولا يقال: يفعل ذلك؛ لأن فعل ذلك الشيء هو إيجاده،... وقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾

(١)ينظر: الجواهر البلاغية للهاشمي:١٢٣.

الصافات: ٩٦، أي: خلقكم وخلق ما تؤثرون فيه بنحتكم إيَّاه(١). ولذا اتصف الله ﷻ بالفعل ولم يرد ما يدل على وصفه بالعمل، قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ هود: ١٠٧.

وعليه فإن امرأة العزيز كانت على عزيمة وإصرار في غاية القوة تأكيدًا لامتثال يوسف عليه السلام لما تأمره به.

ثانيها: أن الفعل لا يتكرر، وأن العمل يكون فيه تكرارًا، جاء في الفروق للعسكري: "ولا يقال للفعل الواحد عمل"(٢). والتوجيه بناء على هذا الفرق هو أن امرأة العزيز تهدد يوسف عليه السلام بالسجن والصَّغار، وأنه لا ينجيه من هذا الوعيد إلا أن يواقعها ولو مرة واحدة دون تكرار، تهوينًا عليه لاقتراف الفاحشة. وهذا الاحتمال محمول على أن امرأة العزيز أسمعت يوسف عليه السلام هذا التهديد؛ وأنها كررت المراودة ولذا اختار السجن عليه السلام(٣).

ثالثها: أن الفعل أعم من العمل، حيث إن العمل ينسب إلى العاقل الذي تنعقد له نية وقصد، بخلاف الفعل فقد ينسب إلى غير العاقل الذي ليس له قصد ونية، حيث قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: "الفعل: التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، **ولمَّا كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد**،... والفرق بين الفعل والعمل... الفعل قد ينسب إلى

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري:١٣٤.

(٢) ص:١٣٤، نقله عن البلخي.

(٣) ينظر: جامع البيان:١٣/١٤٣.

الحيوانات التي يقع منها **فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلَّما ينسب إليهما**"(١). فعلى هذا – التفريق بينهما – يكون اللفظ مُشعِرًا بأنَّ امرأة العزيز مصرة على تنفيذ ما تقصده من الفاحشة، وأن يمتثل يوسف عليه السلام أمرها إما راغبًا مبادلًا لها قاصدًا ما تريد أو كارهًا لمرادها مع فعله جسدًا دون استجابة قلبيَّة.

وكل هذه الاحتمالات في الفروق له وجاهته في حمل المعنى عليه. والله أعلم

﴿ءَامُرُهُۥ﴾: إيثار مفرد (الأمر) دون تحديد مرادها وهو (الفاحشة) أو (المراودة) ونحوها، فالأوامر من السيد لعبيده كثيرة، ولا يستطيعوا ردَّ المطلوب، فانصرف الأمر هنا إلى أمر خاصٍّ، سبق تكراره دون طوع من يوسف عليه السلام وهو (الفاحشة) و (المراودة)، وعليه لِمَ لَمْ تُعَبِّر امرأة العزيز بالفاحشة والمراودة؟، إنَّ صدور هذه المفردة منها أعطت صورة ودليلًا واضحًا على ما تعتقده في نفسها من العلو والرفعة، وأن طلباتها لا يمكن أن يرد منها شيء، والثقة بالنفس في السلطة على من تحت ملكها، يقول أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): "وعبرت عن مراودتها بالأمر إظهارًا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بأمرها"(٢).

﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾: إيثار مفردة (السجن) بصيغة المضارعة دون غيرها مثل الاسم ونحوه، وكذا بناء الفعل المضارع للمفعول، كما جاء في قول فرعون مخاطبًا موسى عليه السلام ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ الشعراء: ٢٩فصيغة المضارع فيها تهديد وإصرار

(١) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني:٢/١٢٥.

(٢) إرشاد العقل السليم:٤/٢٧٣، وروح المعاني:٦/٤٢٤.

وتكرار للعقاب، فهي مصرة على استجابة يوسف عليه السلام لها، وستكرر العقاب وهو السجن إلى أن يستجيب، وأن بيدها ذلك وبقدرتها متى أرادت وشاءت لن يردعها أحد، ولذا فليس لك إلا الاستجابة والانقياد. ويقوي هذا المعنى من مجيء الفعل مبني على المفعول، يقول الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "وآثرت بناء الفعل للمفعول جريًا على رسم الملوك. وجوز أن يكون إيهامًا لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لأمرها كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل"(١).

ولذا جاءت بالفعل المضارع مؤكدًا بالنون الثقيلة، لمقدرتها على سجنه، بخلاف الصغار الذي توعدته به، فإنها جاءت بنون التوكيد الخفيفة في قولها ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ﴾ لأنها لا تملكه وليس بيدها(٢). ويورد البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) احتمالًا فيقول: "أو أن الزيادة في تأكيد السجن؛ لأنه يلزم منه إبعاد الحبيب أولى بالإنكار من إهانته"(٣).

ويرى الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) بأنها جاءت بنون التوكيد الخفيفة في الصغار اكتفاء بالنون الثقيلة السابقة في مفردة السجن، وبأن الصغار من توابع السجن ولوازمه فلم تحتج لإعادتها(٤). وقيل: في النظر إلى ما توعدت به يوسف عليه السلام بقولها ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ بصيغة المضارع، و﴿مِّنَ الصَّٰغِرِينَ﴾ بالاسم، ما يدل

---

(١) روح المعاني:٦/٤٢٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر:٤/٣٥.

(٣) المصدر السابق:٤/٣٥.

(٤) ينظر: روح المعاني:٦/٤٢٤.

على الفرق بين الصيغتين، ففيه كشف لما تضمره من حب ليوسف عليه السلام، فلا تريد إيذاءه وتعذيبه، كما قالت من قبل ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عندما أرادت أن تدفع التُّهمة عن نفسه أمام زوجها، أما هنا فتريد سجنًا غير دائم ومتقطع لئلا يغيب عن ناظرها إن لم ترد – أيضًا – بأن يكون السجن في بيتها أمام ناظرها، يقول الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "... لأنها إذ ذاك كانت في طراوة غيظها ومتنصلة من أنها هي التي راودته فناسب هناك التغليظ بالعقوبة، وأما هنا فإنها في طماعية ورجاء، وإقامة عذرها عند النسوة فرقت عليه فتوعدته بالسجن"(١)، وأما (الصغار) فجاءت به اسمًا تأكيدًا لعزيمتها كسر السبب المانع من إجابة يوسف عليه السلام لمراودتها؛ وهو العزة الإيمانية التي منحه الله عز وجل إياها، يقول الرازي (ت: ٦٠٦هـ): "ومعلوم أن التوعد بالصغار له تأثير عظيم في حق من كان رفيع النفس عظيم الخطر، مثل يوسف عليه السلام"(٢)، واللام في ﴿لَيُسۡجَنَنَّ﴾: لام القسم، والنون نون التوكيد(٣). وكيفما كان الأمر فقد أتت بوعيد منطوٍ على فنون التوكيد وبالغت في ذلك بمحضر النسوة لمزيد غيظها بظهور كذبها وصدقه، وإصراره متمنّعًا، فصرَّحت بأنها ليست في أمرها على خيفة أو خفية من أحد مضيقة عليه جميع السبل والحيل فلا يجد علة يتعلل بها(٤).

---

(١) روح المعاني:٦/٤٢٤.

(٢) التفسير الكبير:١٨/١٠٤.

(٣) ينظر:المحرر الوجيز:٣/٢٤١، والجدول في إعراب القرآن لصافي:٦/٤٢١.

(٤) ينظر: روح المعاني:٦/٤٢٥.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ يوسف: ٣٣

﴿ ٱلسِّجْنُ ﴾: إيثار مفردة (السجن) دون غيرها مثل (الصغار) (الخروج من قصرها) ونحوه، اختار يوسف عليه السلام هذه المفردة مجاراة لوعدها السابق بالإلقاء فيه، وقيل: الاقتصار على السجن لأن الصغار والذل من مستتبعاته، وقيل: اكتفى بذكر السجن عن ذكر الصغار والذل ونحوه، لوفائه بالغرض وهو قطع طمعها عن المساعدة خوفاً مما توعدته به؛ لأنها تظن أن السجن أشد عليه من الصغار بناء على زعمها أنه فتاها حقيقة وأن الفتيان لا يشق عليهم ذلك مشقة السجن(١).

﴿ أَحَبُّ ﴾: إيثار مفردة (الحب) وأفعل التفضيل دون غيرها، اختلف في ذلك وكان منزع المفسرين في كون هذا المقول من يوسف عليه السلام هل مناجاة لربه وأنه قاله في نفسه، أو أنه قاله لتسمعه النسوة وعلى رأسهن امرأة العزيز فينقطع أملها فيه وما تطلبه منه، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "وفضل السجن مع ما فيه من الألم والشدة وضيق النفس على ما يدعونه إليه من الاستمتاع بالمرأة الحسنة النفيسة على ما فيه من اللذة؛ ولكن كرهه لفعل الحرام فَضَّل عنده مقاساة السجن، فلمَّا عَلِمَ أنَّه لا مَحيص من أحد الأمرين صار السجن محبوبًا إليه باعتبار أنَّه يخلصه من الوقوع في الحرام فهي محبة ناشئة عن ملاءمة الفكر، كمحبة الشجاع الحرب، فالإخبار بأن السجن أحبُّ إليه من الاستمتاع

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٦/٤٢٥.

بالمرأة مستعمل في إنشاء الرضى بالسجن في مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه، إذ لا فائدة في إخبار من يعلم ما في نفسه فاسم التفضيل على حقيقته ولا داعي إلى تأويله بمسلوب المفاضلة"(١).

وممن يرى أن أفعل التفضيل ليست على بابها الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) حيث قال: "وصيغة التفضيل ليست على بابها إذ ليس له عليه السلام شائبة محبة لما يدعونه إليه، وإنما هو والسجن شران أهونهما وأقربهما إلى الإيثار السجن، والتعبير عن الإيثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة لها على مطلوبها خوفًا من الحبس"(٢).

قلت: وفي نظري القول الأول أقرب للصواب، ومما يقويه قول يوسف عليه السلام ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾فكأنه خص المحبة –هنا– به وفي وضعه وحالته، وإن كان السجن في حق غيره شر لا مرية فيه، مع ما علل به ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) في إنشاء الرضى بالسجن في مرضاة الله والبعد عن محارمه.

﴿تَصْرِفْ﴾: إيثار مفردة (تصرف) دون غيرها مثل (تعصمني) ونحوها، الصرف: هو رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره، وصَرَفه فانْصَرَف(٣)، وسبق الحديث عنها في قوله تعالى ﴿لِنَصْرِفَ﴾وما يدل عليه اللفظ هنا من قوله ﴿تَصْرِفْ﴾وإيثارها على (تعصم) أن الصرف هو رد الشيء، ورجوعه،

(١) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٥.

(٢) روح المعاني:٦/٤٢٥.

(٣) ينظر:بصائر ذوي التمميز:٣/٤٠٩.

فلم يصل إليه من كيدهن شيء، أما العصمة فإنها تشعر بما يكون بعد حصول المخوف منه، فدعاء يوسف عليه السلام بقطع الأسباب والحيلولة دونها، وعدم بلوغ مكرهن إليه عليه السلام. ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) بأن الصرف عن أثر الكيد، فقال: "وصرف كيدهن عنه صرف أثره، وذلك بأن ثبَّته على العصمة فلم ينخدع لكيدها ولا لكيد خلائلها في أضيق الأوقات"(١). وجاء اللفظ بصيغة المضارع دليلًا على ما كان متوقعًا من النسوة بتجديد مكرهن بأنواع من الحيل، فكذلك الدعاء بالصرف يتكرر مقابلا لكيدهن. قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "... فالخبر مستعمل في الدعاء، ولذلك فرع عنه جملة ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾"(٢).

﴿أَصْبُ﴾: إيثار مفردة (الصبا) على غيرها مثل (الميل) ونحوها، بتخفيف الباء من صبا يصبو أي: رقَّ شوقُه، والصَّبوة: الميل إلى الهوى، ومنه (الصَّبا)؛ لأن النفوس تَصْبوا إليها أي: تميل، لطيب نسيمِها ورَوْحِها، يقال: صَبَا يَصْبُو صَباءً وصُبُوًّا، وصَبِيَ يُصْبَى صَبَاً، والصِّبا بالكسر اللَّهْوُ واللعب(٣). فالمفردة تدل على رقة وشوق وميل قلب للهوى، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "صبا إلى الشيء يصبُو، إذا مال قلبُهُ إليه"(٤)، ويُشعِرُ هذا اللفظ بقوة الوارد من كيد

(١) التحرير والتنوير:١٢/٢٦٧.

(٢) المصدر السابق:١٢/٢٦٦.

(٣) ينظر: الكشاف:٢/٤٤٩-٤٥٠، والدر المصون:٦/٤٩٣.

(٤) مقاييس اللغة: مادة (صبى):٣/٣٣٢.

النسوة ليوسف عليه السلام، وخشيته من الميل القلبي الذي إن مال مال الجسد كله، واستحكمت حلقات الكيد عليه، فَتَبَرَّأَ من حوله وقوته، فاستسلم لله تعالى ورغب إليه وتوكل عليه، والمعنى: وإن لم تنجنِ أنت هلكت(١). فاللفظ فيه خصوص من خوف تَشَرُّبِ القلب وميله إليهن، وتداعي الجسد لذلك، وفي تعدية الفعل بحرف الجر (إلى) في قوله ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ما يدل على غاية الميل وأنها بالغة إلى النسوة وما يردنه منه عليه السلام.

قال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "أي: أمل على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية إلى إجابتهن بمواتاتهن أو إلى أنفسهن وهو كناية عن مواتاتهن، وهذا فزع منه عليه السلام إلى ألطاف الله تعالى جريًا على سنن الأنبياء عليهم السلام والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله تعالى... ومبالغة في استدعاء لطفه سبحانه في صرف كيدهن بإظهار أنَّه لا طاقة له بالمدافعة... "(٢).

﴿ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: إيثار مفردة (الجاهلين) دون غيرها مثل (الظالمين) أو (المفسدين) ونحوهما، فإن الجهل مقابل الحلم، والجاهلون سفهاء الأحلام(٣)، فالجهل بمعنى السفاهة ضد الحكمة لا بمعنى عدم العلم(٤)، فيوسف عليه السلام يعلم

---

(١) ينظر:المحرر الوجيز:٣/٢٤١.

(٢) روح المعاني:٦/٤٢٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٦٦.

(٤) ينظر:روح المعاني:٦/٤٢٦.

علم اليقين أن اقتراف هذا الفعل محرم؛ ولكن يخشى أن تغلب عليه الشهوة والهوى، فلا يعمل بما يعلم، قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: من الذين لا يعملون بما يعلمون؛ لأنَّ من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء، أو من السفهاء؛ لأن الحكيم لا يفعل القبيح"(١). وفيه دلالة على أن ارتكاب المؤمن للذنب هو من تغيب العلم، وعلو الجهالة(٢).

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يوسف: ٣٤

﴿فَٱسْتَجَابَ﴾: إيثار مفردة (الاستجابة) دون غيرها، حيث جاءت بفاء التعقيب إشارة لسرعة الإجابة في دعاء يوسف عليه السلام، ثم دخول السين والتاء للمبالغة من أجاب(٣)، واللفظ فيه موافقة الاستجابة للدعاء، وكون الصيغة للماضي يدل على ثبوت الإجابة واستقرارها وتحقق وقوعها.

﴿رَبُّهُۥ﴾: إيثار مفردة (الربوبية) دون غيرها مثل (الألوهية)، ما يدل على أن إجابة الدعاء من الله سبحانه وتعالى، وأنه من لوازم الربوبية، فهو المالك الخالق الرازق المدبر، وما في الربوبية من عناية وحفظ ورعاية وتدبير شؤون كما سبق بيانه. وفي إضافة يوسف عليه السلام للرب عز وجل، مزيد تشريف وعناية.

﴿فَصَرَفَ﴾: سبق الحديث عن المفردة، وأما ما يتعلق بها في هذا الموضع، مجيئها بصيغة الماضي الدالة على تحقق الوقوع وثباته، قال الزمخشري (ت:

---

(١) الكشاف:٢/٤٥٠.

(٢) اللباب في لعوم الكتاب:١١/٩٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٦٧.

٥٣٨هـ): "وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء؛ لأن قوله چ گ گ گ چ فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف"(١).

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: إيثار مفردة اسم (السميع) دون غيره، ظاهر في استجابة الدعاء ليوسف عليه السلام، ودعاء كل داع من خلقه، وهل نستطيع تحديد القول الراجح من أن يوسف عليه السلام قال ذلك في نفسه أو أنه قاله لزَليخا والنسوة اللاتي معها ليردعهن ويئسن من مراودته(٢)، قلت: وإن استظهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) القول الأول إلا أن إيثار هذا الاسم ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ يدل على أن هناك قولًا مسموعًا حقيقة، وليس كلامًا نفسيًّا!!، وإن كان الله ﷻ يعلم ما في الصدور.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: إيثار مفردة اسم الله (العليم) دون غيرها، ظاهر في استجابة الدعاء ليوسف عليه السلام ودعاء غيره من الخلق، فالله ﷻ هو العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ يوسف:٣٥.

﴿لَيَسۡجُنَنَّ﴾: إيثار مفردة (السجن) بصيغة المضارع الدال على عدم الثبوت والدوام، كما قال ابن عادل (ت: ٨٨٠هـ): "ذكره بلفظ الفعل تنبيهًا على أن ذلك الحبس لا يدوم.

---

(١) الكشاف:٢/٤٥٠.

(٢) ذكر القولين الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير واستظهر القول الأول:١٢/٥٧.

وقال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ الشعراء: ٢٩ذكره بصيغة الاسم تنبيهًا على الدَّوام"(١).

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ يوسف: ٥٠

﴿بَالُ﴾: إيثار مفردة (البال) دون غيرها، مثل (الحال) و (الشأن)، لما تحملة مفردة البال من التعظيم والأمر الذي يُحتفل له، قال ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ): " البَالُ: الحال والشَّأن. وأمْرٌ ذُو بَالٍ أي شَرِيفٌ يُحْتَفل له ويُهْتَمُّ به"(٢)، وهو ما يشعر به من إضافة (ما) الاستفهامية للبال في الآية(٣)، وقال الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ): " والبالُ: الحالُ التي تَكْتَرِثُ بها، ولذلك يُقال: ما بالَيتُ بكذا بالَةً: أي ما اكْتَرَثتُ به"(٤). قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): " "وإنما قال: سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن؛ لأنّ السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه، فأراد أن يورد عليه السؤال ليجدّ في التفتيش عن حقيقة القصة وفصّ الحديث حتى يتبين له براءته بيانًا مكشوفًا يتميز فيه الحق من الباطل"(٥).

---

(١) اللباب في علوم الكتاب:١٢/١٦١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر:١/٤٢٨.

(٣) الجدول في إعراب القرآن:١٢/٤٤٨.

(٤) تاج العروس:٢٨/١٢٤، وينظر: حاشية الشهاب:٨/٣٩.

(٥) الكشاف:٢/٤٥١.

﴿ٱلنِّسۡوَةِ﴾: إيثار مفردة (النسوة) دون ذكر لامرأة العزيز، وهو ما يدل عليه قوله ﴿قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾لأن امرأة العزيز لم تقطع يدها، فمن المفسرين كالزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) يرى أن عدم ذكر يوسف عليه السلام لامرأة العزيز: " من كرمه وحسن أدبه: أنَّه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر المقطعات أيديهنّ"(١)، ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) أنَّ عدم ذكر يوسف عليه السلام لامرأة العزيز من الحنكة والحكمة في الخطاب حيث قال: " وجعل السؤال عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز تسهيلًا للكشف عن أمرها؛ لأنَّ ذكرها مع مكانة زوجها من الملك ربما يصرف الملك عن الكشف رعيًا للعزيز؛ ولأنَّ حديث المتكأ شاع بين النساء وأصبحت قضية يوسف عليه السلام مشهورة بذلك اليوم، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ يوسف: ٣٥ ولأنَّ النسوة كن شواهد على إقرار امرأة العزيز بأنها راودت يوسف عليه السلام عن نفسه. فلا جرم كان طلب الكشف عن أولئك النسوة منتهى الحكمة في البحث وغاية الإيجاز في الخطاب"(٢). ويرى ابن عادل (ت: ٨٨٠هـ) "أنَّ الظاهر أن أولئك النسوة نسبنه إلى عملٍ قبيحٍ عند الملك، فاقتصر يوسف عليه السلام على مجرَّد قوله: ﴿مَا

(١) الكشاف:٤٥١/٢، وهو قول أبي حيان في البحر المحيط:٢٨٨/٦.

(٢) التحرير والتنوير:٧٥/١٢.

بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ ﴾، وما شكى منهن على سبيل التَّعيين، والتفصيل"(١). وكل رأي من هذه الأقوال له وجاهته، والله أعلم.

﴿رَبِّي﴾: إيثار مفردة (الربوبية) دون غيرها، يقول ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "تذييل وتعريض بأن الكشف المطلوب سينجلي عن براءته، وظهور كيد الكائدات له ثقة بالله ربه أنه ناصره"(٢). ويذكر ابن عادل (ت: ٨٨٠هـ) في معنى ﴿رَبِّي﴾وجهين: "أحدهما: أنه هو الله تعالى فإنَّه هو العالم بخفيَّات الأمور.

والثاني: المراد به الملك، وجعله ربًّا؛ لكونه مربِّيًا، وفيه إشارةٌ إلى كون ذلك الملك عالماً بمكرهنَّ وكيدهنَّ"(٣). وذكره ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) احتمالًا فقال: "ويحتمل أن يريد بالرب العزيز مولاه، ففي ذلك استشهاد به وتقريع له"(٤).

قال أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ) بعد ذكره لاحتمال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): "وما ذكره ابن عطية من هذا الاحتمال لا يسوغ"(٥). قلت: وهذا الرد من أبي حيان (ت: ٧٥٤هـ) يتناول من جعل (الرب) هو الملك أو (العزيز) زوج زَليخا،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب:١١/١٢٦.

(٢) التحرير والتنوير:١٢/٧٦.

(٣) اللباب في علوم الكتاب:١١/١٢٧.

(٤) المحرر الوجيز:٣/٢٥٢.

(٥) البحر المحيط:٦/٢٨٨.

ويدل عليه ما سبق من لجوء يوسف عليه السلام لله رب العالمين، بقوله ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ فالسياق منتظم في معناه.

﴿عَلِيمٌ﴾: إيثار مفردة (عليم) دون غيرها مثل (خبير) ونحوها، فيوسف عليه السلام أراد بقوله ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أي: كيد عظيم لا يعلم كنهه وخفاياه إلا الله عز وجل، قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه، وأنَّه بريءٌ مما قُذف به. أو أراد الوعيد لهن، أي: هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه"(١).

قال الله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يوسف: ٥١

﴿خَطۡبُكُنَّ﴾: إيثار مفردة (خطب) دون غيرها مثل (شأنكن) أو (بالكن) ونحوهما، الخطب: في الأصل مصدر خَطَب يَخْطُبُ، وهو الأمر والشأن الذي فيه خطرٌ، ويُخْطب في الأمور العظام(٢)، وقيل: سمي خطبًا لأنَّه يقتضي أن يخاطب المرء صاحبه بالتساؤل عنه. وقيل: هو مأخوذ من الخُطبة، أي: يُخطب فيه، وإنما تكون الخطبة في أمر عظيم، فأصله مصدر بمعنى المفعول، أي مخطوب فيه(٣).

---

(١) الكشاف:٢/٤٦٠.

(٢) ينظر:الدر المصون:٦/٥١٢-٥١٣، روح المعاني:٦/٤٤٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٢٩٠.

﴿رَوَدتُّنَّ﴾: إيثار مفردة (المراودة) دون غيرها من (التقطيع) ونحوها، كما ورد في كلام يوسف عليه السلام السابق، ومجيئها بصيغة الماضي، فالملك – هنا – لم يطابق سؤال يوسف عليه السلام في طلبه لرسول الملك أن يرجع ويسأل الملك النسوة، بقوله ﴿ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾، فكان سؤال الملك صريحًا بذكر المراودة، وقد سبق ذكر الخلاف في سبب قول يوسف عليه السلام بتقطيع أيديهن دون ذكر المراودة، بين من يرى أن يوسف عليه السلام أراد التركيز على بينة التهمة وهي التقطيع، وبين من جعله من خلق الأنبياء وعفتهم وحسن أدبهم في ذلك، وفيه ظهور صراحة الملك لعلوه في الخطاب بلفظ المراودة. ومجيئها بصيغة الماضي، ما يشعر بتصديق الملك ليوسف عليه السلام وتبرئته لديه، لما يدل عليه الماضي من الثبوت والاستقرار، قال أبو حيان (ت: ٧٥٤هـ): "ونزه جانب يوسف عليه السلام بقوله: إذ راودتن يوسف عن نفسه"(١).

﴿عَلِمۡنَا﴾: إيثار نفي مفردة (العلم) دون غيرها مثل (سمعنا) ونحوه، فنفي علمهن بقولهن: ﴿ماعَلِمۡنَا﴾ هو كناية عن نفي دعوتهن إياه إلى السوء، ونفي دعوته إياهن إليه؛ لأنَّ ذلك لو وقع لكان معلومًا عندهن(٢)، حيث جربن عفته، وجاء فعل (علمنا) ماضيًا لثبوته واستقراره، فكان نفي علمهن قوة في براءة يوسف عليه السلام.

---

(١) البحر المحيط:٦/٢٨٨.

(٢) ينظر:التحرير والتنوير:١٢/٢٩٠.

﴿عَلَيۡهِ﴾: إيثار الجار (على) دون غيره مثل (منه) ونحوه، لما يدل عليه حرف الجر (على) من تضمين (علمنا) معنى (أخذنا)(١)، وفيه أيضًا ما يدل عليه حرف الجر (على) من الاستعلاء حساً أو معنى(٢)، وعليه يكون زيادة في تبرئة يوسف عليه السلام بطهارة معدنه وأنَّه لا يصدر منه سوء، وكذا ليس مستعلٍ وطارئ عليه من خارجه السوء.

﴿حَصۡحَصَ﴾: إيثار مفردة (حصحص) دون غيرها مثل (وضح) أو (انكشف) ونحوهما، فحصحص معناه: تبين وظهر بعد خفاء، وقال بعضهم: هو مأخوذ من الحِصَّة، والمعنى: بانَتْ حِصَّةُ الحَقِّ من حِصَّة الباطل كما تتميَّز حِصَصُ الأراضي وغيرها. وقيل: بمعنى ثبت واستقرَّ(٣). وقال الراغب (ت: ٥٠٢هـ): "حَصْحَصَ الحقُّ، وذلك بانكشاف ما يَقهره، وحصَّ وحَصْحَصَ نحو: كَفَّ وكَفْكَفَ وكَبَّ وكَبْكَبَ، وحَصَّه: قطعه: إما بالمباشرة وإما بالحكم... "(٤). قال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): "وإنما أُريد في هذا الموضع بقوله ﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾: ذَهب الباطلُ والكذبُ فانْقَطَع، وتبَيَّن الحقُّ فظهَر"(٥).

---

(١) ينظر: الجدول في إعراب القرآن لصافي:٦/١٣.

(٢) ينظر:الجنى الداني:٤٧٦.

(٣) ينظر:الدر المصون:٥١٣/٦، واللباب في علوم الكتاب:١٢٨/١١.

(٤) المفردات:١٢٠.

(٥) جامع البيان:٢٠٦/١٣-٢٠٧.

﴿أَنَا﴾: إيثار الضمير المنفصل (أنا) دون غيره مثل (لقد) أو (نعم) ونحوهما، لأنَّ المقام هنا مقام إقرار واعتراف نفسي، وعليه فمن المفسرين من جعل المراد بـ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ﴾أي أنا التي راودته عن نفسه لا أنَّه هو من راودني عن نفسي، وقالته بعد اعترافها مؤكدة طهارة يوسف عليه السلام ونزاهته(١)، وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ): "وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ﴾ للقصر، لإبطال أن يكون النسوة راودنه، فهذا إقرار منها على نفسها، وشهادة لغيرها بالبراءة"(٢)، قلت: ويرد هذا –ما سبق– من قول يوسف عليه السلام ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ من اشتراك النسوة في المراودة والكيد، وقد يكون قول ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) مقبولًا: إن كان مراد امرأة العزيز أن تُبيّن للملك أن لها الدور الأكبر في المراودة.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ يوسف:٥٢

﴿ذَٰلِكَ﴾: إيثار اسم الإشارة (ذلك) للبعيد دون غيره مثل (هذا) ونحوه، وذلك بناء على اختلاف المفسرين في القائل لهذه الجملة ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ على قولين: أحدهما: إنه من قول المرأة، ووجه بأنَّه كلام متصل بما قبله، وهو قول المرأة ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾ ثم قالت: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ والمعنى: ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه في حال غيبته وهو

(١) ينظر: روح المعاني: ٦/٤٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢/٢٩٢.

في السجن ولم أكذب عليه؛ بل قلت: أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين، وإن كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته، ثم بالغت في تأكيدها هذا القول فقالت: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ يعني أني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم أني افتضحت؛ لأنَّ الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين. وعلى هذا القول يكون الإشارة بالبعيد من قولها: إشارة إلى ذلك الإقرار وأهميته وعلو شأنه بالنسبة لي ليعلم بأني لم أخنه بالغيب(١). قلت: ويشكل على هذا القول عدة إيرادات من أهمها، إقرارها بالألوهية لله سبحانه في قوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ وهو ما لم تقر به إلهًا، وأيضًا: تحقق التهديد الذي صرحت به إن لم يفعل ليسجنن، وليكونًا من الصاغرين، مع ما في قولها ﴿ٱلۡـَٰٔنَ﴾ من الوقت الحاضر الذي تتكشف فيه الحقائق، وكذلك خروج الآية التي تليها ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فهذه المقولة مقولة عارف بالله ﷻ، والذي يصعب قبوله قولًا من امرأة كافرة، مما يقوي أنه من قول يوسف عليه السلام كما سيأتي.

الثاني: أنَّه من قول يوسف عليه السلام، ووجه أنه لا يبعد وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر إذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنَّه لما بلغ يوسف عليه السلام قول المرأة ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قال يوسف عليه السلام ذلك أي الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه ليعلم يعني العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته، فيكون هذا من كلام

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩٢/١٢. وسبق بيان ذلك بتوسع في مفردة (فذلكن).

يوسف عليه السلام اتصل بقوله امرأة العزيز من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك، وهذا قول الأكثرين من المفسرين والعلماء(١). وعلى هذا يكون ﴿ ذَٰلِكَ ﴾لما كان من المراودة التي حدثت في بيت العزيز وشهادة الشاهد من أهلها، وتوجيه ذلك: بأنَّ الحادثة الأولى للمراودة لم يتثبت منها العزيز وأراد أن تمر دون تمحيص دقيق لهول الوقع عليه، قال الميداني (١٤٢٥هـ): "﴿ ذَٰلِكَ ﴾أشار به يوسف عليه السلام إلى طلبه إعادة التحقيق في قضية اتهامه"(٢). وعلى هذا تكون الإشارة للبعيد بـ (ذلك) على بابها.

﴿أَخُنْهُ ﴾ الإتيان بالخيانة، لمناسبة عقدة القصة وهي المراودة، قال الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ): "والخيانة: تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة"(٣)، وهو أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح، خانه خَوْنًا وخيانة ومَخَانة، واختانه فهو خائن وخائنة، والفرق بين الخيانة والنفاق بأن الخيانة تكون باعتبار العهد والأمانة، والنفاق يكون باعتبار الدين، ثم يتداخلان(٤). فالخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة الأمانة(٥). وعلى القول الراجح من أن القائل هو يوسف عليه السلام، يكون المعنى كما قاله الميداني (ت: ١٤٢٥هـ): "أي: ليعلم عزيز مصر الذي استأمنني على قصره وأهله أنني لم أخنه بشيء وهو غائب، وليعلم أنَّ الله

---

(١) ينظر:لباب التأويل:٣/٢٥.

(٢) معارج التفكر:١٠/٦٨٨.

(٣) الكليات:٤٣٤.

(٤) ينظر: المفردات:٣٠٥.

(٥) ينظر:بصائر ذوي التمييز:٢/٥٨٢.

لا بد أن يكشف كيد الخائنين، فهو لا يدع كيد الخائنين ساترًا لخياناتهم وملصقًا التُّهمة بالبريئين، وفي هذا تعريض بما كشفه تحقيق الملك، وتبرئة النسوة له، واعتراف امرأة العزيز بأنها هي التي راودته عن نفسه"(١).

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: إيثار مفردة (الغيب) دون غيرها، فالتعريف للجنس، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ) على أن القائل امرأة العزيز: "تمدحت بعدم الخيانة على أبلغ وجه إذ نَفت الخيانة في المغيب وهو حائلٌ بينه وبين دفاعه عن نفسه، وحالة المغيب أمكن لمريد الخيانة أن يخون فيها من حالة الحضرة؛ لأنَّ الحاضر قد يتفطن لقصد الخائن فيدفع خيانته بالحجة"(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يوسف: ٥٣

﴿غَفُورٌ﴾: إيثار مفردة (غفور) دون غيرها، فالمناسبة لهذا الاسم وتقديمه على رحيم ظاهرة، قال ابن جرير (ت: ٣١٠هـ): "إنَّ الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، بتركه عقوبتَه عليها، وفضيحتَه بها"(٣).

---

(١) معارج التفكر: ٦٨٨/١٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٩٢/١٢-٢٩٣، وقال بعض المفسرين بأنَّ هذا القول صادر من يوسف عليه السلام. ينظر: جامع البيان: ٢٠٧/١٣.

(٣) جامع البيان: ٢١٠/١٣.

﴿رَّحِيمٌ﴾: إيثار مفردة (رحيم) دون غيرها، ظاهر في أنَّ الله ﷻ رحيم بمن تاب بعد توبته أن يعذبه عليها(١)، قال الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): "﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾عظيم المغفرة فيغفر ما يعتري النفوس بمقتضى طباعها ومبالغ في الرحمة فعصمها من الجريان على موجب ذلك، والإظهار في مقام الإضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ المغفرة والرحمة، ولعل تقديم ما يفيد الأولى على ما يفيد الثانية؛ لأنَّ التخلية مقدمة على التحلية"(٢).

* * *

(١) ينظر:المصدر السابق:١٣/٢١٠.

(٢) روح المعاني:٦/٥.

الخاتمة:

الحمد لله الأول والآخر والظاهر والباطن، وله الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

فقد كان الخوض في المفردة وتناولها في هذا البحث الدقيق في معناه، جدير بالإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات، ومنها:

– إنَّ الذي أكسب المفردة قوتها وسلاستها مراعاتها للسابق واللاحق من السياق، فتجدها مستقرة في النظم.

– إنَّ دراسة المفردة –وخاصة في القصة– أن يراعى تنوعها سواء كانت في الحرف، أو في الأسماء، أو الأفعال، والصيغ.

– إنَّ انتقاء المفردة في القصة واختيارها بما يناسبها لا يعطي المعنى العام المراد فحسب, وإنما يتناول تفاصيل وجوانب أشعرت بها المفردة.

– إنَّ المفردة وما توحي به مع الإيجاز في الخطاب تعطي معنى مكتنزًا في المفردات، بتنوعها، وهو من الإعجاز في البيان القرآني.

– إنَّ المفردة –وخاصة في القصة– تؤدي جوانب من القصة حقيقة؛ لكون القصص القرآني حق في ذكرها وليس ينطبق على القصص الأدبي ونحوه، مما يقوم على الخيال والنسج.

التوصيات:

إنَّ دراسة المفردة يفتقر لمثل هذه الدراسة، وأوصي بأن يُنشط لمثلها، ويوجه الباحثون، لتناولها بجانبها الموضوعي كأن يكون في سورة معينة، أو قصة معينة.

والله الموفق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي تحقيق: شعبان إسماعيل، الكليات الأزهرية، مصر، طبعة سنة ١٤٠١هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، محمد العمادي، عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، مكتبة الرياض الحديثة.
- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، محمد عبد العزيز الخالدي، الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ
- الإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم وسوره، محمد أحمد يوسف قاسم، دار المطبوعات الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع ابن الأزرق، عائشة بنت عبد الرحمن المشهورة ببنت الشاطئ، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
- إعجاز القرآن للخطيب، دار الفكر العربي بمصر، الطبعة الأولى.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الخامسة، ١٩٩٧م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين درويش، اليمامة، ابن كثير، ١٤١٢هـ
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سوريا، الرابعة، ١٤١٥هـ.
- الأمالي في لغة العرب، إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، صلاح بن فتحي — سيد الجليمي، المكتبة العصرية، ٢٠٠١

- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن للقزويني، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف، صدقي محمد جميل، المكتبة التجارية لمصطفى الباز، ١٤١٢هـ
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: معروف مصطفى زريق ومحمد وهبي، دار الخير، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ
- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٧م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الأولى، ١٣٧٦هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، محمد بن علي النجار، المكتبة العلمية، ١٤٠٢هـ
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، ١٤١٢هـ.
- البلاغة عند السكاكي، أحمد مطلوب، مكتبة فلسطين، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.
- بيان إعجاز القرآن، حمد بن سليمان الخطابي، يوسف العليوي، دار التوحيد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.
- البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانه، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٧٧هـ.
- تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية

- تاريخ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- التحرير والتنوير، محمد بن الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار القلم، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.
- التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، الأولى، ١٩٩٨م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، حسين بن قاسم المرادي، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، الثالثة، ١٤١٦هـ.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، محمد ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- جماليات المفردة القرآنية لأحمد ياسوف: ١٩-٢١. رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في الآداب دار الكتبي، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، فخر الدين قباوه – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.
- حاشية الشهاب المسمى (عناية القاضي وكفاية الراضي)، أحمد بن محمد الخفاجي، عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، أحمد الصاوي المالكي، نجيب الماجدي وأحمد عوض، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- الحيوان، عمرو بن بحر، عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٤هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، أحمد محمد الخراط، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ١٤٢٤هـ
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد شكري الألوسي، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ
- السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ
- سر الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ
- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني، مطبعة السفير، الرياض، ٢٠٠١م
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الثانية، ١٣٩٩هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ
- الصناعتين الكتابة والشعر، الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي، ١٣٧١هـ.
- غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي، محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
- فوائد في مشكل القرآن، عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بعز الدين، سيد رضوان علي، دار الشروق للنشر والطباعة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ
- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت
- الكشاف، محمد بن عمر الزمخشري، محمد عبد السلام شاهين، الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ.
- الكفاية الكبرى في القراءات العشر، محمد بن الحسين الواسطي القلانسي، تحقيق: عثمان محمود غزال، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ
- لباب التأويل في معاني التنزيل، تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ

- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، أحمد الحوفي و بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٨م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، عبد السلام عبد الشافي، الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.
- مختصر التبيين لهجاء التنزيل، سلمان بن نجاح بن أبي القاسم أبو داود الأندلسي، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
- مسائل خلافية في النحو، عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء العكبري، تحقيق: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة ١٤١٢هـ.
- معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن سري الزجاج، عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد، دار الدعوة، الطبعة الثانية.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف أبو محمد بن هشام، مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، صفوان عدنان داودي، دار العلم الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ
- مقاييس اللغة، لابن فارس، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- من أسرار التعبير في القرآن الكريم لعبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ القاهرة.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد ابن الجزري، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، عبد الوهاب رشيد وعصام الحرستاني، دار عمار، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ.
- النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، السيد بن عبد المقصود، مؤسسة المكتبة الثقافية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، طاهر أحمد الزاوي–محمد الطناحي، دار الفكر، ١٤١٢هـ
- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م.